ابحاث متفرقة

التغيير الاجتماعي في مدينة رام الله
المورفولوجيا والترييف والاقتصاد غيرالرسمي

نائل يونس ، نديم حمودة وناديا الانصاري

سلسلة من الابحاث المتفرقة تصدرها مجلة آفاق فلسطينية ،
جامعة بيرزيت ، ص . ب ١٤ بير زيت ، الضفة الغربية

SPC
HN
660.5
.R3
Y86
1991
BZU

Digitized by Birzeit University Library

98867
c.6

التفيير الاجتماعي في مدينة رام الله
المورفولوجيا والترييف والاقتصاد غيرالرسمي

نائل يونس ، نديم حمودة وناديا الانصاري

اشراف وتقديم
سليم تماري

دائرة علم الاجتماع
جامعة بيرزيت

SPC
HN
660.5
.R3
Y86
1991
BZU

81778
176795

ابحاث متفرقة

٤

سلسلة آفاق فلسطينية

سلسلة " ابحاث متفرقة " تصدر عن مجلة " آفاق فلسطينية " بتوزيع محدود. للمراسلات الرجاء الاتصال ب:
محرر مجلة " آفاق فلسطينية "، جامعة بيرزيت، ص.ب ١٤ بيرزيت الضفة الغربية.
العنوان في العالم العربي : مكتب ارتباط جامعة بيرزيت ، ص. ب ٩٥٠٦٦٦، عمان – الاردن

آذار ١٩٩١

Digitized by Birzeit University Library

مقدمة : الترييف والاقتصاد غير الرسمي في العالم الثالث

ترييف مدن العالم الثالث يشكل عملية مزدوجة : فهو يشير من ناحية الى الهجرة الفردية والجماعية من قبل سكان القرى الى الحواضر سعيا وراء العمل والخدمات التي توفرها هذه الحواضر من تعليم وخدمات صحية ، وفرص عمل واسواق واماكن ترفيه. ويشير من ناحية أخرى الى التحول الذي اصاب المراكز المدينية من جراء هذه الهجرة : بروز احياء الفقر ، فوضى التخطيط الاجتماعي ، انتقال أشكال العصبية والتماسك الاسري الريفي الى اجواء المدينة ذات النزعة الفردية.

وقد اشارت جانيت ابو اللغد في دراستين هامتين حول مدينتي القاهرة والرباط (١٩٧١ و ١٩٨٠) الى اهمية هذه الهجرات في ظهور نسق من العلاقات الشبكية التي تسمح باستيعاب مئات الالاف من الوافدين الريفيين في الاقتصاد القومي. كما تسمح بتوفير القاعدة الاجتماعية للتأهيل الوظيفي وذلك عن طريق توفير المسكن والوظيفة في المرحلة الانتقالية (والتي كثيرا ما تصبح دائمة) للمهاجر الريفي ، ومن خلال تدريب الوافد على التأقلم على اجواء واحابيل المدينة " الغريبة " والمعادية.

ومفهوم الاقتصاد غير الرسمي جديد نسبيا. ابتدعه الانثربولوجي هارت في دراسته الرائدة عن مدينة اكرا في غانا (١٩٧٣) اشارة الى ذلك الجانب من " الاقتصاد غير المرئي " في الاحياء الفقيرة من المدن والذي لا يظهر في الاحصائيات الرسمية ؛ ومن اهم مميزات هذه الظاهرة : سيطرة العائلة على وسائل الانتاج والعمل ؛ ضآلة رأس المال للموظف ؛ غياب قطاع الدولة عن عملية الاشراف والتنظيم والجباية الضريبية ؛ مهارات مكتسبة " في الشارع " وليس من خلال عملية تدريب مؤسسة ؛ واخيرا – في كثير من الاحيان – معاملات تمر خارج القانون او تجاوزا للقانون.

وفي دراسة منهجية عن امريكا اللاتينية – " مدن الفلاحين " – قام الباحث البريطاني بريان روبرتس – بمتابعة خصائص هذه الظاهرة . ووجد ان هنالك علاقة عضوية بين ما يسمى القطاع الاقتصادي المحدث (السوقي ، الرسمي ، السلعي) وبين القطاع التقليدي غير الرسمي. فالقطاع غير الرسمي بشقيه القانوني (العمل العائلي بالقطعة للشركات الكبيرة) وغير القانوني (التهريب ، السرقة ، الدعارة) يقوم بتقديم خدمات رخيصة الثمن وكفؤة للقطاع الرأسمالي " الرسمي " (روبرتس ، ١٩٧٨ ، صفحات ١١٢ – ١١٤). ويوضح طبيعة هذه العلاقة في سياقها التاريخي :

> إن مكانة الوحدات الاقتصادية الصغيرة (في الاقتصاد غير الرسمي) الحضرية تشبه الى حد كبير دور العمل المنزلي بالقطعة والانتاج السلعي الصغير في المراحل الاولى للثورة الصناعية في انجلترا. وهكذا نرى انه في مدن العالم المتخلف ، يعتمد العامل ذا المشغل الخاص به ، او صاحب المشروع العائلي على التاجر الكبير او المؤسسات الاستثمارية في توفير رأسماله او المواد الاساسية التي يحتاجها في الانتاج. وتقوم

Digitized by Birzeit University Library

هـذه المؤسسات بدورها في تسويق انتاج المنتج الصغير في مخـازنها او تستعمله في رفد انتاج سلعهم ، كما هو الحال في شركات الاحذية الكبيرة التي تكلف مجموعـة كبيرة مـن العمـال بقص قطع الاحذية في بيوتهم . (روبرتس ١٩٧٨ ، صفحة ١١٦) .

إن معرفة الطبيعة التاريخية للاقتصاد المستتر لا يمنع من الاحاطة بطبيعته المزدوجة. فهو من ناحية " يحل " مشكلة الفقر والبطالة المزمنة في المدن من خلال استنباط سوق ثانوي للسلع والخدمات ؛ كما انه يعيد توزيع الثروة المحلية من خلال الارباح غير الخاضعة للضرائب (مثلا عند الباعة المتنقلة) ويخلق الالاف من " الوظائف " غير المعترف فيها (صرافة السوق السوداء ، متسولون ، مهربون ، الخ ...) . ومن ناحية اخرى قدم الاقتصاد المستتر هدية مجانية لمنظري التنمية من خلال حل مشكلة الفقر والتخلف من دون التعرض للنظام القائم في دول العالم الثالث ودون المس بالتمايز الشديد في مستويات الدخل. وهنا نجابه مفارقة غريبة : فالاقتصاد غير الرسمي يشرك الملايين من سكان المدن في العالم الثالث في المساهمة بزيادة الانتاج القومي وفي تدريب ملايين أخرى على مهارات ما كانوا ليحصلوا عليها في مؤسسات التدريب الرسمية – بعضها من خلال الوحدة العائلية وبعضها من خلال شبكات تسويق وخدمات غير عائلية . ولكن الاقتصاد غير الرسمي يشكل ايضا صمام امان للتناقضات الاجتماعية التي يولدها النظام الرأسمالي في الدول المتخلفة والتي بدونها كانت ستحقق الحركات الاصلاحية والثورية على ذخيرة سياسية تدفعها نحو التعبئة الجماهيرية باتجاه تحقيق نظام اجتماعي اكثر عدالة وكفاءة.

وقد استفاد خبراء ومؤسسات التنمية الدولية من هذه الازدواجية من خلال التمويه الذي يمارسونه حول دور الاقتصاد غير الرسمي. وفي هـذا المجال يقول بيتر ورسلي في كتابه الشهير **العوالم الثلاثة** (١٩٨٤) : " في السياسات اللاحقة كانت مشكلة التنمية تتمحور حول التخلف الريفي ، والتضخم السكاني الحضري . مما حث هذه السياسات الى تشجيع التنمية الريفية والحد من الهجرة الريفية الى المدن . اما الان فيرى اصحاب هذه السياسات ان يقع في نفس القطاع الذي كان في السابق يشكل جوهر المشكلة : وهو " القطاع غير الرسمي " الذي يستمد منه فقراء المدن ارزاقهم " (ورسلي ، ١٩٨٤ ، صفحة ٢١١).

ولكن هذا المزج السياسي لم يحل العديد من القضايا النابعة عن مفهوم الاقتصاد غير الرسمي. معظم هذه القضايا تتعلق بطبيعة العلاقة بين القطاع الرسمي والغير رسمي . فقد وجد روبرتس – مثلا – ان الانتاج الحرفي العائلي في مدن الهند واميركا اللاتينية هو الرافد الرئيسي للانتاج الرأسمالي الكبير (روبرتس ، صفحات ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٧) . ويرى آخرون ان استقلالية البائع المتجول والمنتج الصغير – والتي يبدو من خلالها وكأنه صاحب عمل – ما هي الاّ استقلالية شكلية تخفي في الواقع عملية برلتة تدريجية ينحدر فيها الكثير من أصحاب المهن الى مستوى اجراء المياومة ، ولكنهم يحافظون في نفس الوقت على الكرامة النفسية لاصحاب الصنعة.

Digitized by Birzeit University Library

في الدراسات الميدانية الثلاثة ادناه سنعالج التغيير الاجتماعي في مدينة رام الله من خلال التركيز على عملية الترييف والقطاع غير الرسمي . من الملاحظ ان جميع الدراسات المتوفرة حول هذه المدينة – وهذا ينطبق الى حد كبير على معظم مدن الضفة (ربما باستثناء مدينة نابلس) – تناولت التاريخ الشكلي لسكانها. ومفهوم " السكان " فيها يستثني في اغلب الاحيان اطوال الاغلبية العظمى من اللاجئين والوافدين القرويين لهذه المدن ، ويركز على التطور السكاني لما يسمى بالمواطنين الاصليين . (هذا ينطبق على دراسات قدورة وابو ريا وشاهين ، وهي التاريخات الرئيسية المتوفرة لمدينة رام الله).

قام اصحاب هذه الدراسة بتحقيقاتهم الميدانية في نهاية عام ١٩٩٠ ضمن مساق " المجتمع الحضري " في دائرة علم الاجتماع بجامعة بير زيت وتنشر هنا ضمن سلسلة " دراسات طلابية " . يود المؤلفون توجيه الشكر الى الطاقم الهندسي في بلديتي رام الله والبيرة لمساعدتهم في انجاز الدراسة . والى السيد نبيل مزبر وطاقم قسم المطبوعات في جامعة بيرزيت لمساهمتهم في الاخراج الفني ؛ والى السيدة سوزان الزبيق التي طبعت مسودات البحث واخرجتها بشكلها النهائي. وقام باعداد الخرائط البيانية السيد نائل يونس.

سليم تماري
دائرة علم الاجتماع

مراجع المقدمة

1. Abu - Lughod, Janet, (1971) , **Cairo : 1001 Years of The City Victorious** ; Princeton University Press.
2. Abu - Lughod, Janet (1980) , **Rabat : Urban Apartheid in Morrocco** ; Princeton University Press.
3. Hart , Keith (1973) , " Informal income and opportunities and the structure of employment in Ghana," **Journal of Modern African Studies**, 11,pp.61-89.
4. Roberts , Bryan (1978) ,**Cities of Peasants : The Political Economy of Urbanization in The Thirdworld**; Edward Arnold, London.
5. Worsley , Peter (1984) , **The Three Worlds : Culture and World Development** ; The University of Chicago Press.

Digitized by Birzeit University Library

٢. المورفولوجيا الاجتماعية لمدينة رام الله

نائل يونس

Digitized by Birzeit University Library

نبذة تاريخية

بداية مدينة رام الله ترجع للقرن السادس عشرحيث كانت خربة ضمن أراضي قرية البيرة (في ذلك العهد) وهي كما يحدّث خليل ابو ريا ، بقيت خالية من السكان الى أن سكنها راشد بن جعفر الحدادين وعائلته المسيحية ، الذي جاء من الكرك – الشوبك في الأردن (١) ، وكانت هذه العائلة (الحدادين) تعمل بالتجارة وصناعة الحدادة ، وقد وجدت في رام الله الوضع المناسب لاستقرارهما حيث كانت خربة رام الله مكتظة بالاحراج التي كانت تصلح للاستعمال في شتى الأغراض فكانت مناسبة لصناعة " الحدادين " هذا بالاضافة الى وفرة ينابيع المياه فيها مثل " عين البلد " ، " عين البرج " ، " عين مصباح " ، وإذا أضفنا الى ذلك حسن مناخ رام الله الذي لا يختلف كثيرا عن مناخ الكرك نجد أن هذه العوامل مجتمعة أغرت عائلة الحدادين للاستيطان في رام الله.

تقع مدينة رام الله شمال هضبة الجيب بمسافة ١٦ كم شمال القدس بالجهة الغربية من الطريق التاريخي القدس – نابلس وتبعد رام الله عن ساحل البحر الأبيض المتوسط زهاء ٦٤ كم وهي قائمة على قسم من سلسلة الهضاب والتلال الممتدة من جنوب الجليل مارة بجبال نابلس حتى جبال القدس.

ونواة المدينة تطورت على تلة مرتفعة ٨٥٠ م عن سطح البحر ويحوالي ٣ و ١ كم غربي شارع القدس – نابلس الذي يمر بمدينة البيرة ، هذه النواة بدأت تتطور زحفا للشرق الى أن التحمت مع مدينة البيرة في الوقت الحالي. في سنة ١٩٤٢ كانت معظم مدينة رام الله قائمة على الشارع الرئيسي الموصل بين (المنارة) وبين نواة المدينة القديمة وعلى جانبي الشارع اقيمت ابنية بكثافة منخفضة تتخللها قطع الأرض الزراعية . بعد سنة ١٩٤٢ بدأت عملية تمدن في رام الله وقطع الأرض الزراعية بدأت تتقلص وأخذت مكانها ابنية سكن حتى أنه سنة ٧٤ كانت حوالي ٧٥ ٪ من منطقة حدود رام الله بنيت. وحتى عام ١٩٧٤ كان انتشار وزحف منطقة السكن لكل الجهات بشكل دائري ، وهذا الزحف استمر شرقا حتى أدى الى ربط وتعاقد ابنية السكن بين رام الله والبيرة ، وفي الفترة الاخيرة ظهرت ظاهرة جديدة في المدينة وهي اقامة أحياء السكن المنفصلة والبعيدة عن مركز المدينة وغير متصلة ، واليوم توجد ستة أحياء سكنية من هذا النوع في المدينة ، ورغم ذلك فان كثافة البناء في رام الله منخفضة باستثناء نواة المدينة القديمة ومركز النشاطات التجارية المميزان بكثافة ابنية عالية (أنظر خارطة رقم " ١ ").

وتتركز أراضي الزيتون في رام الله في الجهة الشمالية القريبة للمدينة أما الاراضي الزراعية المخصصة لزراعة المحاصيل فهي قليلة العدد نسبيا وذلك لأن معظم أراضي رام الله جبلية وهي مركزة بالجهة الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية من المدينة بالاضافة للموقع المرتفع للمدينة الذي أضفى عليها طابع جمالي خاص والذي جعلها أحدى مدن الاصطياف الأولى في فلسطين . تقع رام الله على مفرق الطرق التاريخي للطرفين اللتين كانتا توصلان مع القدس وهي طريق القدس – نابلس شمالا وجنوبا والطريق الذي يأتي من الساحل ويعلو على الهضبة التي تقع عليها المدينة وبهذا وصلت رام الله بين جبال نابلس شمالا مع القدس جنوبا ومع الساحل غربا هذا الموقع الخاص أدى الى اضفاء طابع مركزي على المدينة وجعلهـا ذات

Digitized by Birzeit University Library

صلة سهلة مع أجزاء البلاد الأخرى بحيث أصبحت رام الله بالاضافة للبيرة تكونان المركز الحضري بجبال بيتين من الجهة الشرقية بعدها يحد التأثير بصحراء يهودا ، ومن الجهة الغربية تأثيرهما يمتد الى الحدود الموازية للخط الاخضر وفي الجنوب تحده بحدود القدس الشمالية وتحدد بقرى السامرة شمالا وبمنطقة لواء رام الله يوجد حوالي ٦٦ قرية وثلاث مخيمات وخمس بلديات لها صفة ادارية وهي بيتونيا ، سلواد ، ديرديوان ، بني زيد (أنظر خارطة رقم ٢).

الطابع المركزي لمدينة رام الله اكسبها طابعا خدماتيا واداريا فرام الله اشتهرت على انها موقع اصطياف مميز كان يؤمه أعداد كبيرة من مدن فلسطين والدول العربية ، كما تتركز فيها مختلف الدوائر الحكومية التي تخدم مختلف قرى القضاء كما تتركز فيها المدارس والمعاهد والمؤسسات التعليمية على اختلافها ، كما أن رام الله بطابعها الخدماتي هذا جذبت اعداد كبيرة من شرائح المهنيين من أطباء ، محامين ، مدرسين ، صحافيون الخ.

وفي هذا البحث المتعلق بموروفولوجيا مدينة رام الله سنتعرض لتوزيع المناطق السكنية حسب الفئات الاجتماعية ، وحسب أصول السكان وحسب الأديان وتوزيع المرافق الاقتصادية والخدماتية على المدينة ونتعرض للتغيير في التركيب السكاني على مدار حياة المدينة وفي النهاية نتعرض على بعض مشاكل التخطيط المدني لمدينة رام الله.

سكان مدينة رام الله : (انظر خارطة رقم ٣)

ان مصدر سكان رام الله كان عائلة الحدادين المسيحية التي قدمت من الكرك في الأردن التي استوطنت في رام الله وامتدت منه العائلة سبعة حمائل معروفة كالآتي ، دار يوسف ، الشقرة ، دار عواد ، دار ابراهيم ، دار جريس ، الشراقة ، دار ابو جغب ولكن بالاضافة لهؤلاء قدم الى رام الله عدد من القبائل المسيحية الموجودة في جبل عجلون في الأردن وكان ذلك حوالي عام ١٨٢٥ م (٢) ، حيث قدم منهم آل العجلوني ، ويرجع سبب مجيئهم الى خلافات عائلية نشبت في بلدهم الأصلي ، ومنهم أيضا آل الحشمة الذين قدموا الى رام الله طلبا للرزق ، وفي سنة ١٨٥٠ (٣) نزحت عن قرية دير ابان وهي احدى القرى المجاورة لمدينة القدس عدد من العائلات المسيحية وذلك بسبب اضطهادهم من قبل مسلمي تلك القرية فتفرقت هذه العائلات وجزء منهم استقر في رام الله وهذه العائلات عرفت فيما بعد بدار الاعرج وآل شهلا ، وآل الزغربت ، وفي عام ١٨٨٠ نزحت الى رام الله عائلة مسيحية وهي عائلة عودة دبيني التي جاءت من قرية دبين أحدى قرى شرقي الأردن وقد اجتذبته رام الله لرفاه العيش فيها في تلك الفترة (٤) .

لقد تشكل سكان رام الله حتى ذلك الوقت من العائلات والحمائل السابقة وعام ١٩٠٥ بلغ عدد سكان رام الله حوالي ٣٢١٤ نسمة وتمركز هؤلاء السكان حتى عام ١٩٤٤ في المنطقة المعروفة حاليا برام الله القديمة وبلغ تعدادهم حتى تلك الفترة حوالي ٤٥٠٠ نسمة (٥). على اثر اندلاع حرب ٤٨ وصل الى رام الله اعداد غفيرة من اللاجئين من مدن اللد والرملة وكـان معظمهم من المسيحيين وقد تمركزوا حول البلدة القديمـة

Digitized by Birzeit University Library

وخاصة مسيحي مدن اللد والرملة أما لاجيء قضاء اللد والرملة فقد تمركزوا على قطعة أرض ترجع ملكيتها الى عائلة قدورة وعرفت فيما بعد بمخيم قدورة.

بالاضافة الى حالة الحرب التي مر بها هؤلاء اللاجئين والتي تمخضت عن نزوحهم عن مدنهم وقراهم الى رام الله اجتمعت عدة عوامل لقدومهم منها أن معظم هؤلاء المهاجرين هم من مسيحي اللد والرملة وعلى اعتبار أن غالبية سكان رام الله في ذلك الوقت كانوا من المسيحيين شكل ذلك عامل اغراء لديهم للقدوم الى المدينة وعامل آخر اجتذب هؤلاء المهاجرين الى رام الله هو سهولة الوصول الى رام الله من الساحل وذلك وجود طريق اللطرون المعبد والسهل في ذلك الوقت.

وقد خضع بقاء هؤلاء اللاجئين في رام الله لعدة عوامل منها الاقتصادية والسياسية ، أما الاقتصادية فنبعت من كون بلدا صغيرا كرام الله يفتقرللموارد الاقتصادية الغنية لم يقدر على استيعاب الأعداد الكبيرة من المهاجرين اليه دون أن يتصدع اقتصاده الأمر الذي أدى الى نزوح أعداد من أهل رام الله من عمال وأرباب المهن الحرة وأصحاب الحرف الى مدن أخرى والى الاقطار العربية المجاورة طلبا للرزق . اما العوامل السياسية فتحددت في حالة الحرب التي كانت قائمة وفق عملية ضم الضفة الغربية الى الاردن ، الأمر الذي قطع أمل العودة الى المدن الأصلية لهؤلاء اللاجئين فكان ذلك حافزا على البقاء . ونتيجة لما سبق بعد عام ٤٨ أصبحت هناك كثافة سكانية في رام الله فأصبحت مركز ثقل سكاني بضم العديد من الدوائر الحكومية بحيث اعتبرت عاصمة للواء الذي ضم حينذاك ٧٢ قرية وثلاث مخيمات الأمر الذي أدى الى محاولة الكثيرين عن سكان القرى المجاورة لرام الله الاستغناء تدريجيا عن الذهاب اليومي أو الاسبوعي للقدس التي كانت تشكل مركزا تمويليا لهم وبالتالي انتعشت الحركة التجارية في رام الله وأصبح عدد كبير من اهالي القرى المغتربين يشترون أراضي ويستثمرون في رام الله سواء بامتلاك اماكن تجارية او بناء عقارات الأمر الذي أدى الى انتقال بعض سكان القرى الى السكن فيها ، وامتد تمركز السكان في هذه الفترة في الشارع الموصل من المنارة الى البلدة القديمة. بالاضافة الى قدوم عدد من سكان القرى الى رام الله فقد قدم اليها بعض العائلات من قرى جبل الخليل (القيسية) الذين استقروا في البلدة القديمة ويرجع سبب قدومهم حسب أحد أهالي رام الله (٦) أن رجال هذه العائلات قدموا للعمل كأجراء في بيوت سكان المدينة وتدريجيا استقروا فيها.

بلغ عدد سكان رام الله كافة عام ١٩٥٣ ...و١٣ نسمة موزعين كالاتي: ابناء رام الله الاصليين ٤٥٠٠ نسمة ، اللاجئين على اختلافهم ٨٥٠٠ نسمة ، أما المغتربين عن سكان رام الله بلغ عددهم ٢٥٨٠ وفق احصاء بلدية رام الله حينذاك.

يوجد حاليا في رام الله أيضا ١٥ عائلة ارمنية جاءوا بعد عام ١٩٤٨ وكان مصدر نزوح هذه العائلات يرجع لتركيا والقدس وسبب قدومهم الى البلدة كان مصالحهم الاقتصادية حيث عملوا في التصوير والحرف والسيراميك والذهب والخزف التي لاقت رواجا في رام الله. كما يوجد ثلاث عائلات من اليونان قدموا الى رام الله من يافا في هجرة ١٩٤٨.

Digitized by Birzeit University Library

لقد ذكرنا أنه بسبب الحالة الاقتصادية المتدهورة في اعقاب وصول مهاجرين ٤٨ اليها التي دفعت عددا من السكان للهجرة الى المدن والدول العربية المجاورة بدافع تحسين أوضاعهم الاقتصادية ، الا أنه قبل ذلك حدثت موجات هجرة لسكان رام الله وخاصة الى الامريكيتين وكان ذلك مع بداية القرن العشرين وتتابعت هذه الهجرات وأصبحت على نطاق واسع حتى هذه الفترة ، ولقد بدأت فكرة الهجرة لدى أهل رام الله تتبلور من خلال اتصالهم بالبنائين والنحاتين الذين أحضرهم الفرنسز الامريكان عام ١٨٨٩ الى رام الله من بيت لحم الذين نقلوا لأهل رام الله الذين كانوا يعيشون في ذلك الوقت في أوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة صورة مشرقة عن بلاد نائية تدعى امريكيا (٧) يسافر اليها أهل بيت لحم يتاجرون بها ويرجعون بأموال طائلة الى مدينتهم الأمر الذي دفع أهل رام الله لاختفاء اثرهم والهجرة الى أمريكا وأخذت الهجرة الى هناك تتوسع الى ان اصبحت على نطاق واسع.

ولقد اثرت التحويلات التي كان يبعثها المهاجرون لعائلاتهم في رام الله تاثيرا كبيرا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في رام الله فأصبح هناك اقبال على بناء البيوت الحديثة للسكن وأخذت تظهر فيها الاسواق التجارية والفنادق والحدائق العامة والمدارس الابتدائية والثانوية وأسست فيها بلدية ، كما ارتفع مستوى المعيشة بها وكثر عدد المتعلمين وخريجي الجامعات وبدأت تأخذ رام الله طابعا مركزيا وخدماتيا بالنسبة لقرى القضاء.

لقد أثرت الهجرة على معدل الازدياد الطبيعي لسكان رام الله حيث سببت انخفاضه بشكل ملحوظ وذلك لوجود الشبان والمتزوجين في المهجر لمدة طويلة بدون نسائهم .

وفي آخر انتخابات بلدية سنه ٧٦ كان التقسيم السكان لاصل رام الله موزعا كالاتي : الثث مسيحيين لاجئي ٤٨ ، أقل من الثث من أهل رام الله الأصليين والباقي قرويين ومسلمين من نازحين ١٩٤٨ . (٨) .

في الفترة الأخيرة اجتذبت مدينة رام الله عدد كبير من المثقفين وشرائح الفئة المهنية الذين قدموا اليها من مدن وقرى الضفة الغربية وسكنوا مدينة رام الله وذلك لكونها أصبحت مركزا حضاريا متميزا بكثرة وجود المدارس والمعاهد والمؤسسات التعليمية بالاضافة للطابع الخدماتي للمدينة الذي جعلها تشكل موقعا هاما لأصحاب المهن المختلفة.

اما بالنسبة لقدوم أهل القرى للسكن في المدينة حاليا فقد طرأ عليه انخفاض كبير وذلك يرجع لعدة عوامل منها ، البعد الجغرافي الصغير الذي يفصل القرى عن رام الله والعودة الى قراهم بسهولة دون الحاجة للاستقرار في المدينة وعامل آخر يتمثل في ارتفاع تكاليف الحياة في المدينة بالنسبة لدخل الفرد القروي هذا بالاضافة الى تطور القرى المحيطة برام الله وتوفر الخدمات فيها التي كانت رام الله توفرها لهم سابقا . (راجع القسم الثالث ت هذه الدراسة).

Digitized by Birzeit University Library

واليوم يبلغ عدد سكان رام الله ٢٢.٠٠٠ نسمة يشكلون امتدادات للحمائل والعائلات التي سكنت او هاجرت الى رام الله والتي تحدثنا عنها (٩) .

توزيع المناطق السكنية حسب الفئات الاجتماعية في رام اله

١ – السكن : يوجد في مدينة رام الله خمس مناطق سكن معرفة كالآتي : أ – ٢ ، أ – ٣ ، ب ، ج١ ، ج٢ ، (انظر خارطة رقم ٤) وهذه المناطق السكنية تقسم الى ستة أحياء هي ، حي رقم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، وقد خضع تقسيم مناطق السكن الى هذه الاحياء لعدة اعتبارات منها الأخذ بعين الاعتبار مبنى المدينة القائم ، وعدد السكان في الحي الذي يمكن اعطائهم خدمات عامة بمستوى جيد ، وعوامل طبيعية التي تشكل فاصلا مثل وادي أو شارع رئيسي ... الخ (٨) .

وكثافة السكن العالية في المدينة تتركز بجانب مركز النشاطات التجارية والادارية وتنخفض عند الابتعاد عنه وقد ظهرت في الوقت الحالي في مدينة رام الله ظاهرة بناء أحياء منفصلة عن مركز المدينة تمتد في الضواحي مثال حي ٥ الذي يتطور باتجاه شمال الشرق على حدود البيرة والآخر حي ٦ الذي يتطور باتجاه شمال الغرب على الهضبة الممتدة غربا باتجاه عين قينيا (منطقة الطيرة).

٢ – البناء : بالنسبة للبناء معظم دور السكن في رام الله هي بملكية خاصة ومعدل المساحة للبيت الواحد ١٣٠ م٢ ، اما بالنسبة لارتفاع دور السكن فحوالي ٧٥ ٪ منها مكون من طابق أو طابقين والباقي اكثر من طابقين (١١) . ويرجع ذلك لمنع البلدية البناء لاكثر من طابقين وذلك بسبب اعتبار رام الله منطقة زلازل ، أما بالنسبة لمعدل عدد الغرف في الشقة الواحدة فتشي الشقق في رام الله تحوي من غرفتين الى ثلاثة.

٣ – التوزيع السكاني حسب الفئات الاجتماعية : تتمايز المناطق السكنية في مدينة رام الله حسب الفئات الاجتماعية التي تسكنها وهذا التمايز نسبي يخص مدينة رام الله وذلك على اعتبار أن المستوى الاقتصادي لسكان رام الله مرتفع بالمقارنة مع مدن ومناطق أخرى وبناء عليه يمكن أن نصنف الفئات الاجتماعية في رام الله الى غنية ومتوسطة وفقيرة ضمن خصوصية مدينة رام الله التي اشرنا إليها وعند توزيع هذه الفئات الاجتماعية المختلفة على مناطق رام الله نجد أن هناك بعض المناطق التي تميز كل فئة ، هذا الى وجود بعض المناطق المتداخلة طبقيا تسكنها فئات اجتماعية مختلفة. (انظر خارطة رقم٤)

(١) الفئة العليا : وهم يشملون الملاك ، أصحاب العقارات ، الصاغة ....الخ . وتتركز هذه الفئات في مناطق سكن أ – ٢ ، ب في أحياء المصيون ، عين منجد ، حي غسان وتتميز هذه الأحياء بارتفاع أسعار الأراضي والايجارات فمثلا في حي مصيون يبلغ سعر

Digitized by Birzeit University Library

متر الأرض المربع حوالي (٣٠ – ٤٥) دينار ، اما في حي عين منجد الواقع بين المصيون ورام الله القديمة فيبلغ سعرالأرض للمتر المربع فيه حوالي (٢٠ – ٣٠) دينار ، أما سعر ايجار الشقة المتوسطة فيه فيبلغ حوالي (١٧٠ – ٢٠٠) دينار شهري ، أما الحي الثالث وهو حي غسان فيبلغ سعر الأرض فيه للمتر المربع حوالي (٢٠ – ٢٥) دينار وسعر ايجار الشقة فيه (١٥٠ – ٢٠٠) دينار للشهر. (١٢) (جميع هذه الاسعار محتسبة في منتصف عام ١٩٩٠)

(٢) الفئة الوسطى : وهي تشمل الموظفين ، الاطباء ، المحامين ، الصحفيين ، المدرسين ...الخ وجزء من هذه الفئة يتركز في منطقة السكن أ – ٣ خاصة في اسكانات الطيرة شمال غرب رام الله والقسم الآخرموزعة على الأحياء المختلفة للمدينة وفي هذه المناطق يبلغ سعر الأرض للمتر المربع الواحد من (٣٠ – ١٢) دينار أما سعر الايجارات فيتراوح ما بين ١٥٠ – ١٠٠ دينار للشهر الواحد.

(٣) الفئة الفقيرة : وهي تشمل سكان المخيمات وبعض السكان الآخرين وهؤلاء يتمركزون في منطقة السكن ج ١ في مخيم قدورة وهي القديرة ويبلغ سعر الأرض فيها للمتر المربع الواحد (١٢ – ١٠) دينار اما سعر الايجارات فيها لا يتعدى ٦٠ دينار شهريا للشقة.

توزيع الفئات السكانية حسب التجمعات الدينية والعائلية

١ – حسب الدين : في الوقت الحالي اماكن سكن أهل رام الله من مختلف الأديان متداخلة مع بعضها البعض بدرجة يصعب فيها الادعاء بوجود تجمعات لفئات السكان المختلفة حسب الدين ، في عام ١٩٤٨ تمركز اللاجئين الذين كان معظمهم من المسيحيين الأرثوذكس من مدينة اللد والرملة ويافا مثال عائلة الحصري طنوس ، بوشة ، الرنتيسي بجوار المسيحيين من أهل رام الله الأصليين بحيث أصبحت رام الله القديمة تشكل تجمع مسيحي ، ولكن بعد ذلك بفترة ونتيجة تحسن الاوضاع الاقتصادية لأهل رام الله فقد توزعت غالبية هذه التجمعات وانتشرت في المدينة بصورة متداخلة مع غيرها من السكان من الأديان الأخرى في مختلف مناطق السكن في رام الله وبقي عدد قليل من عائلات هذه التجمعات في أماكنها الاولى وهم يتمركزون حاليا في المنطقة الواقعة بين شارع البلدية القديمة والحسبة القديمة (١٣) .

٢ – حسب النزعة العائلية : لقد توزعت حمائل رام الله السبعة قديما في البلدة القديمة بصورة عكست انتماء عائلي فنجد أن كل حمولة من هذه الحمائل انحصرت بصورة مستقلة في حارة معينة من البلدة القديمة فوجدت حارة الشقرة ، حارة دار ابراهيم ، حارة دار جريس ...الخ (انظر خارطة رقم ٥).

الا أن موجات الهجرة المختلفة استهدفت اعداد كبيرة من أفراد هذه الحمائل بحيث أن نسبة وجودهم تشكل حوالي ٥ – ٦ ٪ من سكان أهل رام الله (١٤) ومعظمهم خرج من البلدة القديمة وتوزع على المناطق

Digitized by Birzeit University Library

المختلفة في رام الله على الصورة التالية :
(انظر خارطة رقم ٥) .

١ – الشقرة : الأفراد الذين تبقوا من هذه الحمولة حاليا يشكلون اكبر نسبة من الاهل الاصليين الموجودين حاليا مثال دار خلف ، دار زايد ، البابا ، وهم انتشروا في المنطقة الممتدة على شارع يافا جهة الغرب.

٢ – حمولة دار يوسف : بقاياهم يتركزون حاليا بحارة القديرة خلف كنيسة اللاتين والعائلات في هذه الحمولة توزعوا مثال

دار جريس : في شارع المسكوبية

دار الاحول : توزعوا شرق جنوب بلدية رام الله.

دار رباح : على امتداد شارع السهل المتفرع من شارع يافا.

دار الطواشة : تمركزوا شمال منطقة القديرة

٣ – دار ابراهيم : توزعوا في اول طريق الطيرة في بطن الهوى .

٤ – دار عواد : توزعوا في منطقة المستشفى القديم وطريق الاذاعة مثال دار قسيس وميخائيل.

٥ – دار جريس : توزعوا في طريق الاذاعة مثال دار عقال .

٦ – الشراقة : حول المنارة وطريق الاذاعة مثال دار شنارة.

٧ – دار أبو جغب : توزعوا في المنطقة الجنوبية الشرقية. ونلاحظ من هذه التوزيعات أنها خضعت للانتماء العائلي حيث نجد أن العائلات المنتمية الى حمولة معينة حافظت على اماكن متقاربة من بعضها البعض وربما يكون ساعد على ذلك تماسك ملكية العائلات للأرض ، أما بالنسبة لباقي سكان رام الله فاماكن سكنهم متداخلة مع بعضها البعض بدرجة يصعب فرزهم ضمن تجمعات قائمة على أساس عائلي.

علاقة رام الله مع القضاء (انظر خارطة رقم ٢)

لقد رأينا كيف أن عملية تمدن بدأت في رام الله في أعقاب موجات الهجرة الى الامريكتين بحيث أثرت التحويلات التي كان يعقبها المهاجرون لعائلاتهم في رام الله تأثيرا كبيرا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمدينة ، الأمر الذي نتج عنه حركة بنيان واسعة وتوسعت الطرق ورصفت وبنيت في المدن الاسواق التجارية والفنادق والحدائق العامة والمدارس كما ارتفع مستوى المعيشة وكثر عدد المتعلمين ونشطت الحركة التجارية والاستثمارية في رام الله بحيث أصبحت تأخذ طابعا مركزيا وخدماتيا للقرى المحيطة بها وكما ساعد على ذلك الموقع المتميز للمدينة الذي سبق وأشرنا إليه ، الذي جعل رام الله توصل جبال نابلس شمالا مع القدس جنوبا ومع الساحل غربا فهذا الموقع اكسبها طابع مركزي ومنطقة تأثير واسعة يقع فيها حوالي ١٢٨.٠٠٠ نسمة جعلها تزودهم بخدمات كثيرة فيها (انظر خارطة رقم ٦).

– ضمن الناحية الادارية : يوجد في رام الله مكاتب حكومية كثيرة بحيث تليق بمدينة مركزية مثال مكتب الداخلية ، مكتب التسجيل والهجرة ، دائرة التنظيم المركزي ، ومكتب التربية والتعليم ومكتب الشؤون الاجتماعية ، مكتب العمل ، المحاكم.

Digitized by Birzeit University Library

- المباني الدينية : يوجد في مدينة رام الله أحدى عشرة كنيسة ودير موزعة على الطوائف المسيحية المختلفة ويوجد فيها مسجد واحد.
- الصحة : معظم جهاز الصحة برام الله هو خاص ويوجد ايضا مستشفى قدرته الاستيعابية حوالي ١٥٠ سرير وعيادة للأمومة والطفولة ومركز حنانيا وخراز الطبي ، وهذه المستشفيات والعيادات تقدم الخدمات الصحية للمدينة والقضاء كما أن مكاتب ادارة مستشفيات في الضفة الغربية تدار من مراكزها في رام الله.
- التعليم : يوجد في رام الله ١٦ مدرسة بكل مستويات التعليم الرسمي والى جانب خدمات التعليم الحكومية يوجد خدمات تعليم خاص التي تقوم عليها المؤسسات الدينية والتنظيمات المختلفة وهذه الخدمات تشمل عدد من المعاهد المتوسطة مثال معاهد الوكالة كما يوجد في رام الله عدد من حضانات وروضات الأطفال وهي موجودة ضمن اطار أهلي أو تعطى على يد الكنائس والتنظيمات المختلفة وفي نظام التعليم في رام الله نلاحظ أن الفصل بين مستوى المدارس غير كامل كما نرى في اللائحة التالية :

١ - مدرستان تضمان مستويان ابتدائي واعدادي.
٢ - خمسة مدارس تضم ثلاث مستويات.
٣ - اربعة مدارس تضم مستوى ابتدائي.
٤ - مدرسة اعدادية واحدة.
٥ - اربعة مدارس ثانوية.

وقد وصل عدد التلاميذ في ال ١٦ مدرسة سنة ٨٤ الى ٥٣٧٤ تلميذ من المدينة والقضاء موزعين على ٢٤٩ صف ، أما بالنسبة لبقية هذه المدارس فهي موزعة كالآتي :

أ - ٦ مدارس حكومية ب - ٨ مدارس أهلية ج - ٢ للوكالة.

- النوادي : يوجد في رام الله ١٢ نادي مصنف حسب الطوائف المختلفة في المدينة ويوجد فيها نادي مشترك واحد هو نادي الكشاف فقط .
- مركز رياضي : لا يوجد مركز رياضي بلدي أو غيره في رام الله والاستعمال يكون للملاعب الرياضة القائمة في المدارس.
- مسرح وسينما : في مدينة رام الله لا يوجد قاعة مسرح ولكن يوجد دارين للسينما.
- شؤون اجتماعية : يوجد في رام الله مؤسسات للعجزة ومؤسسةللأولاد المتخلفين عقليا.
- مكتبة عامة ومركز ثقافي : يوجد مكتبة عامة في رام الله بمبنى وتضم ٥٥٠٠ كتاب ولا يوجد في رام الله مركز ثقافي.
- منتزهات ومساحات مفتوحة : يوجد منتزه واحد في رام الله تابع للبلدية على أرض مساحتها ٥ دونمات وغير المنتزه لا يوجد حدائق عامة ولكن يوجد بعض قطع الأرض المزروعة بأشجار حرشية مثال الغابة بجانب مستشفى رام الله ، وغابة بجانب المنطقة الصناعية.

Digitized by Birzeit University Library

- المقابـــــر : يوجد مقبرة بمركز المدينة وهي خاصة بالمسيحيين اما مسلمي رام الله فيدفنون في مقبرة البيرة.
- محطة المياه : يوجد في رام الله محطة ضخ مياه كبيرة تزود المدينة والبيرة والقرى والمدن المحيطة بالمياه وهي تضخ المياه من عين سامية.
- شبكة المجاري : شبكة المجاري في رام الله لا تخدم كل مناطق السكن وحاليا يوجد تخطيط لشبكة مجاري جديدة مع منشآت هندسية خاصة كما يوجد برك ترسبت خاصة بالزاوية الجنوبية الغربية للمدينة.

العلاقة مع القدس

تعتبر القدس مركز ديني واقتصادي وخدماتي لكل مواطني رام الله المسلمين والمسيحيين ونظرا لمركزية القدس فهي تقدم بعض الخدمات لأهل رام الله وقد ساعدت المحاذاة الجغرافية والاتصال المريح بين المدينتين على تشجيع وتقوية العلاقات بين المدينتين ومجالات هذه العلاقات مختلفة منها :

أ - علاقات دينية : يوجد في القدس مكاتب الوقف ، المجلس الاسلامي الأعلى ، المسجد الأقصى ، مراكز الطوائف ، مكتب البطريرك ، الكنائس المركزية كل هذه المرافق تجذب أهل رام الله الى مدينة القدس خاصة أيام الجمع والآحاد والأعياد المختلفة.

ب - التعليم : بمجال التعليم وضع العلاقات عكسي بمعنى أن جزء من سكان القدس الشرقية يستفيدون من خدمات التعليم وخاصة الفرق ثانوية الموجودة في رام الله مثال المعاهد المختلفة.

ج - الصحة : جهاز الصحة في رام الله يعتمد على جهاز المستشفيات في القدس مثل مستشفى هداسا وأوغست فكتوريا بحيث أن كثير من المرضى والمراجعين لمستشفى رام الله يحولون الى مستشفيات القدس.

د - وجود منظمات دولية : القدس مقر لمعظم المنظمات الدولية التي تعنى بالشؤون الاجتماعية والتي توجه خدماتها لمدن الضفة ومن ضمنها رام الله ، كذلك القدس هي مقر للقنصليات والشعارات المختلفة التي يؤمها الكثير من أهالي رام الله في مجال السفر والهجرة.

ه - العمل : القدس تقع بحبال السفر اليومي للعمال من رام الله والقضاء العاملين في اسرائيل.

و - الكهرباء : تزود رام الله بالكهرباء من شركة كهرباء القدس الواقعة في مدن القدس.

ز - المياه : في فصل الصيف يحدث نقص في المياه في رام الله فيغطى هذا النقص عن طريق شركة ميكورت في القدس.

ح - التجارة : توجد علاقات تجارية قوية بين القدس ورام الله حيث ان كثير من سكان شمال القدس يشترون بضائعهم من اسواق ومحلات رام الله كما أن كثير من أهل القدس الشرقية يستثمرون أموالهم في أملاك وعقارات ومحلات تجارية في رام الله هربا من قيود الضرائب الباهظة المفروضة عليهم في القدس.

ونلاحظ من خلال العلاقات القائمة بين القدس ورام الله وأيضا البيرة أن هذه المدن الثلاث تشكل ثالوث مكمل لبعضه البعض بحيث تشكل مجتمعة مركز حضري واسع يمتد تأثيره الى مختلف مناطق الضفة الغربية.

Digitized by Birzeit University Library

النشاط الاقتصادي في مدينة رام الله

تشكل رام الله مركز للخدمات الشخصية والتجارية والمالية لكل قرى القضاء وكذلك يوجد تركيز لأعمال مختلفة في المدينة ، وتتميز رام الله بهيمنة ثلاث قطاعات رئيسية على النشاط الاقتصادي في المدينة وهي قطاع الصناعة ، قطاع التجارة وقطاع الخدمات ويتضح ذلك من توزيع القوى العاملة في المدينة على القطاعات المختلفة (١٥) :

القطاع الاقتصادي	نسب مئوية للقوى العامل
زراعة	٢و٤ ٪
صناعة	٢٧و٣ ٪
تجارة	٢٠و٥ ٪
بناء	١٢و٨ ٪
مواصلات	٦و٣ ٪
خدمات عامة	٢٣و٥ ٪
الباقي	٧و٧

توزيع القوى العاملة في مدينة رام الله – ١٩٨٣

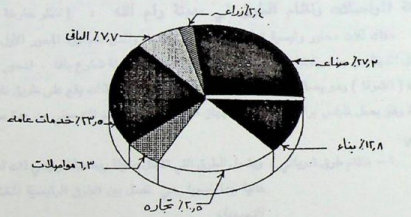

مصدر المعلومات : مصلحة البناء الفلسطيني لمدينة رام الله – اعداد : شاهو خيالي ١٩٨٣

الصناعة : متركزة في المنطقة الصناعية التي تقع في جنوب غرب المدينة وهي تقع على أرض مساحتها ٨٦٠ دونم ويوجد في المنطقة الصناعية حوالي ٢٥ مصنع (تحوي ١٠ عمال فاكثر) وهي مصانع متميزة بحاجتها لقوى عاملة رخيصة بينما احتياجها لاخصائيين علميين قليل ونوع الصناعات القائمة فيها تتركز في صناعة النسيج ، صناعات غذائية ، بلاستيك ، أدوية ، مشروبات ، حلويات ، كما تحوي المنطقة الصناعية على عدد من الورش مثل مصانع الطوب ، الباطون ، الحديد ، مصانع الأثاث ، محداد ، كراجات ....الخ .

Digitized by Birzeit University Library

محلات تجارية ومكاتب ورش : - معظم النشاط التجاري مركز في مركز المدينة المنتشر على مساحة ارض تقارب ١٠٠ دونم ويضم محلات تجارية مثل المقاهي ، المطاعم ، خياطين ، مكاتب تكسيات ، صيدليات كما تضم مكاتب لأصحاب المهن الحرة ، بنوك ، سينمات ، (جميعها مغلق منذ عام ١٩٨٧) وكما يضم عدد من الورش مثل المحددة ، المتاجر ، كراجات ، مطابع ، مخابز .....الخ.

توزيع المحلات التجارية والورش في رام الله ٨٤ : ٦و٦٣ ٪ منها محلات تجارية ومكاتب ، و ٤و٣٢ ٪ منها حرف وورش (١٦) .

وتجدر الملاحظة أنه في مدينة رام الله يبلغ عدد المحلات التي تخدم ١٠٠٠ في المعدل ٣٨ محل والمعدل المتعارف عليه بمدينة متوسطة في اسرائيل هو حوالي ١٤ محل عمل لخدمة ١٠٠٠ شخص وبناء عليه ضمن المفروض أن المحلات التجارية في رام الله حاليا يمكن ان تخدم حوالي ٦٠٠٠و٨٣ شخص وهذا يعني أربع أضعاف السكان الموجودين حاليا في رام الله وهذا يعتبر دليل على مركزية العمليات التجارية والنشاطات التجارية والادارية التي تقدمها رام الله لكل القضاء.

الزراعة : تعتبر مدينة رام الله ثالث مدينة في الضفة الغربية منتجة لزيت الزيتون بعد طولكرم وجنين حيث تسهم بحوالي ٦و٢٠ ٪ من انتاج الزيت في الضفة الغربية وفي رام الله نجد أن لكل الجزء من الجهة الغربية الشمالية مغطى بكروم الزيتون ، أما الأراضي المخصصة لزراعة الخضروات والمحاصيل فهي قليلة لدرجة كبيرة الا ان هناك بعض سكان رام الله يعملون في الزراعة في منطقة أريحا والأغوار.

شبكة المواصلات ونظام الطرق في مدينة رام الله : (انظر خارطة رقم ٧)

هناك ثلاث محاور رئيسية تصل رام الله مع القضاء والمدن المجاورة المحور الأول هو الواقع على مداخل المدينة من جهة بيتونيا وهو يصل الساحل مع رام الله بواسطة شارع يافا ، المحور الثاني يوجد في البيرة (الشرفا) وهو يصل القدس بالبيرة برام الله ، أما المحور الثالث يقع على طريق نابلس بالقرب من البيرة وهو يصل نابلس برام الله بالبيرة. جهاز الطرق في مدينة رام الله مبني من عدة مستويات مختلفة كالآتي :

١ - نظام طرق شرياني : ويشمل الطرق التي تشكل وسيلة ربط مباشر وهي ذات امكانية استيعاب عالية جدا نسبيا وهي تصل بين الطرق الرئيسية المختلفة وبين الطرق التجمعية.

٢ - نظام الطرق المجمع : وهذا النظام يتمثل في الطرق والشوارع الرئيسية بكل حارة أو حي وهي تصل مناطق السكن وأحياء السكن بالمركز.

٣ - نظام الطرق المحلي : وهو يتمثل في الطرق التي تدخل الأحياء وتخدم الحركة اليومية بحيث تؤدي الى صلة مباشرة الى الأبنية والبيوت.

٤ - طرق زراعية : وهي طرق غير معبدة ونسبة وجودها قليلة وهي تربط الأراضي الزراعية مع بعضها البعض.

ويلاحظ في نظام الطرق حول مركز المدينة أنه دائري وهذا يسهل عملية التنقل حول المركز في المدينة. وجهاز الطرق في رام الله بصورة عامة غير متطور لدرجة تسمح باستيعاب التطور الحضري الحادث.

Digitized by Birzeit University Library

بعض مشاكل التخطيط المدني في مدينة رام الله

هناك بعض المشاكل المتعلقة بالتخطيط المدني في المدينة ومن هذه المشاكل أن المبنى الطوبوغرافي في المدينة يؤثر على تخطيط المدينة وعلى طابع البناء وجهة تطوره وذلك نظرا لوجود عوائق طوبوغرافية مثل الوديان غربا ادى الى توجيه تطور المدينة شرقا بسهولة السفوح الشرقية ، في الشرق تقع مدينة البيرة وكونت حاجزا لتطور مدينة رام الله شرقا لذلك الحصر انتشار المدينة في اتجاه الشمال الغربي والجنوب بينما في الشرق لا توجد امكانية لانتشارها في المستقبل.

بالاضافة الى ذلك موقع المدينة على خط توزيع المياه وارتفاعها الطوبوغرافي يؤثران على مسار شبكة الطرق فعند التخطيط لانشاء طرق في المنطقة فإمكانية تفادي مرورها في المدينة غير واردة وذلك بسبب المبنى الطوبوغرافي لها وفي نفس الوقت مرورها في رام الله يخلق اشكالية بالنسبة لشبكة المياه الموجودة.

من المشاكل الأخرى الموجودة في المدينة هي افتقار الاحياء السكنية المختلفة لرام الله لبعض الخدمات العامة وفي نفس الوقت معظم ملكية الأراضي في المدينة هي ملكية خاصة فإنشاء تلك الخدمات العامة مثل سوق جمعة ، اسعاف ، اطفائية ، مركز رياضي ، مقابر ...الخ يتطلب مصادرة أراضي من أصحابها لاتمام هذه المشاريع.

ومن المشاكل الأخرى الموجودة في المدينة والمتعلقة بالتخطيط المدني هي وجود خلط بين النشاطات التجارية والصناعية بين مناطق السكن الأمر الذي يؤدي الى ازعاج السكان ، هناك مشكلة أخرى متعلقة بشبكة الطرق القائمة فهي غير متطورة ولا تستطيع استيعاب التطور الحضري المتزايد في المدينة ، كما أنه لا توجد شوارع رابطة عريضة حسنةبين رام الله والبيرة تقدر على استيعاب الاتصال الشديد بين المدينتين كما تعاني المدينة في المركز من مشاكل ومواصلات ومواقف سيارات.

Digitized by Birzeit University Library

المراجع

(١) خليل ابو ريا ، رام الله قديما وحديثا ، اتحاد رام الله الامريكي – ١٩٨٠.

(٢) يوسف قدوره – تاريخ مدينة رام الله ، مطبعة الهدى ، نيويورك ١٩٥٤

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق

(٥) المصدر السابق

(٦) مقابلة شخصية مع اميل طوباسي (أحد سكان رام الله) بتاريخ ١١ / ٣ / ١٩٩٠

(٧) يوسف قدوره – تاريخ مدينة رام الله ، مطبعة الهدى ، نيويورك ١٩٥٤

(٨) بلدية رام الله

(٩) بلدية رام الله

(١٠) كتاب البناء الهيكلي لمدينة رام الله – اعداد شلومو خياط – ١٩٨٣

(١١) بلدية رام الله

(١٢) مصدر سعر الأراضي والايجارات هما مكتب الرائد للمعاملات العقارية – رام الله – عمارة حنانيا وخراز ومؤسسة العمري للمعاملات العقارية – رام الله.

(١٣) خليل ابو ريا ، رام الله قديما وحديثا ، اتحاد رام الله الامريكي – ١٩٨٠

(١٤) مقابلات شخصية مع إميل طوباسي ، اندراوس فرمند (من أهالي رام الله) بتاريخ ٤ / ٤ / ١٩٩٠

(١٥) خياط ، المصدر السابق

(١٦) خياط ، المصدر السابق

Digitized by Birzeit University Library

٣ . سمات الترييف الحضري في مدينة رام الله

نديم حموده

Digitized by Birzeit University Library

تمهيد

إن لا يمكن الحديث عن العادات والتقاليد ، نمط السلوك ، طبيعة العلاقات الاجتماعية ، المكانة الاجتماعية بمعزل عن الحديث عن جوهر الخلاف بين القرية والمدينة والتداخل بينهما ويبرز ذلك جليا في علم الاجتماع الحضري والريفي وتعدد الآراء في هذا الموضوع وتشعبه فعلم الجغرافيا والهندسة يسهل عليه التمييز بين القرية والمدينة بوضع عدة معايير الحجم ، السكان ، المساحة . اما في علم الاجتماع ، فالمسألة اكثر تعقيدا ولا يمكن الاكتفاء بالنظر الى هذه الفروقات على المعايير آنفة الذكر ، بل يتعدى ذلك الى معرفة نمط السلوك ، التأثير والتأثر ، اي امتداد الريف في المدينة والعكس ، ويجب ملاحظة مسألة هنا في بلادنا بأنه لا يمكن الحديث عن مدينة بمفهومها الكلاسيكي باستثناء مدن نابلس و الخليل . مع أن دراسة هاتين المدينتين بمعايير محددة كمعيار السلوك الاجتماعي والرقابة الاجتماعية على سلوك الأفراد هو أقرب الى ان اعتبار هاتين المدينتين وفق هذا المعيار كمدن ريفية ولكن طبيعة الحياة الاقتصادية في هاتين المدينتين جعلتهما تاريخيا متميزتان عن الريف ويمكن اعتبارهما كمدن ريفية ، فاشتهرت هاتان المدينتين بنمو التجارة وبنشوء العلاقات التجارية وشهدت بدايات التصنيع . على كل قبل الخوض او الحديث عن الأمتداد الريفي في مدينة رام الله لا بد لنا من وضع المعايير الأساسية للتعريف بين ما هو حضري او ريفي وما هي الاسس لذلك ، ومع ان هذا يحتاج الى بحث اوسع وأشمل الا انه لا يعفينا ذلك من ضرورة وضع اساس افتراضي نستطيع على اساسه البحث .

ان المعايير المقترحة لهذه الدراسة هي :

١ – حجم السكان وتجانسهم الأجتماعي .

٢ – طبيعة الحياة الاقتصادية في كل من القرية والمدينة.

٣ – طبيعة الرقابة الاجتماعية على سوك الافراد في التجمع السكاني وطبيعة العلاقات السائدة بين السكان.

٤ – حجم المؤسسات العامة.

في البداية لا بد من الاشارة الى ان مدينة القدس كانت مركز ديني تاريخي وأداري منذ العهد الاسلامي وحتى الصليبين للكثير من سكان فلسطين ، وموقع رام الله الى الشمال من مدينة القدس وتوسطها لتجمعات سكانية – ريفية حولها جعل منها محطة اساسية للذاهبين من هذه التجمعات الى مدينة القدس ولا يوجد دلائل مثبتة على أنها كانت مركز للتبادل التجاري (المقصود في ذلك الوقت تبادل البضائع) ولكن يمكن الاستنتاج ان اوائل العائلات التي سكنت مدينة رام الله وهي عائلات حدادين وكما يشير (كتاب قدورة) كانت قد احترفت الحدادة وكذلك عائلة الشراكة التي احترفت الحياكة واختصت النساء في الأواني الفخارية . ويبدو انه كان هناك شبه في تطور المدينة كما حدث في اوروبا حيث شكل التقسيم الاجتماعي للعمل بين الزراعة والحرفة بداية تكون المدينة وبداية الفروق بين المدينة والريف ، حيث شكلت سوق لتبادل البضائع والسلع مع استمرار الاعتماد على الزراعة بشكل كبير في المدينة وكان التبادل يجري اكثر بين سكان رام الله والبيرة الذين اعتمدوا على الزراعة ولم تنتشر الحرف عندهم كما يشير (قدورة) وهذا مما يمكن ان يفسر ان السوق الرئيسي للمدينتين يقع في الحدود الفاصلة بينهما وتطور لأن يكون مركز واحد للمدينتين ، وأخذهذا الواقع بعين الاعتبار في تخطيط حدود المدينتين قديما وحديثا حيث ان المدينتين تتقاسمان مناصفة المركز الرئيسي للمدينة.

Digitized by Birzeit University Library

ان ما ذكرناه سابقا هو محاولة لأعطاء تفسير تاريخي لاختيار رام الله كمدينة ومركز للتجمعات الريفية حولها ، حيث ان التقسيم الاداري للانتداب البريطاني على فلسطين أخذ بعين الاعتبار هذا الوضع وقام بتشجيعه بالاضافة الى البعثات التبشيرية التي قامت بتأسيس مدرسة الفرندز عام ١٨٨٩ والتي شكلت بداية تكون رام الله كعامل جذب تعليمي للعديد من عائلات ابناء الريف (عائلة البرغوثي في بني زيد ، عائلة عرنكي في الطيبة ، بعد ذلك) . والانتداب البريطاني اقام مراكزه ايضا في مدينتي رام الله والبيرة (هنا لا بد من ذكر البيرة لأن العوامل واحدة للمدينتين من الناحية التاريخية ويصعب احيانا التميز او الفصل القسري في الفوارق الاجتماعية) . ظاهرة مراكز الانتداب هي عامل اساسي في نشأة الكثير من المدن في الدول التي استعمرتها بريطانيا وهذه المراكز وللصدفة متشابهة في بناءها الهندسي كما نلاحظ في تصميم (عمارات تيجارت) بنسبة الى المهندس الانجليزي الذي انشأها ، وحول هذه المسألة لا بد من الاشارة ان هذا المركز البريطاني يدعى في الخليل ونابلس (بالعمارة) مع انه لا يدعى كذلك في رام الله او غير منتشر في المدينة ويمكن ان يكون السبب في الخليل ونابلس انها شكلت اول عمارات عامة ؟ مرتفعة تبنى هناك . ولكن لماذا في رام الله اي يبرز سؤال هل كان عمارات عامة في رام الله قبل عمارة الحكم العسكري ؟ ؟ وقد تكون الأجابة ، اما أن يكون هناك عمارات اعلى قبل هذه البناية وهذا غير مثبت وغير موجود لأن اوائل العمارات كانت عمارة (صلاح) وهذه يعود تاريخها الى الخمسينات على ما يبدو، او أن يكون السبب انعدام التواصل من سكان رام الله والبيرة قديما وحديثا حيث ان نسبة القادمين بعد نكبة ٤٨ اضاع الكثير من تراث سكان المدينتين مع عدم اختفائه وخاصة الكثير من التسميات وتوسعت مدينة رام الله وازداد عدد سكانها بشكل خاص بعد عام ١٩٤٨ نتيجة قدوم اعداد واسعة من اللاجئين وخاصة من اللد ويافا وهذا شكل ايضا سمة من سمات المدينة ، لأن ذلك يؤثر على نمو العلاقات في داخل المدينة .

فمن المعروف ان مدن الساحل الفلسطيني كانت متطورة من حيث العلاقات المدنية او الحضرية (هذه انتقلت بشكل اساسي الى مدينة رام الله واثرت بها بشكل كبير حيث ان الطابع العام للعلاقات في المدينة تأثرا كثيرا نتيجة الاعداد الواسعة من اللاجئين الذين استقروا في المدينة بعكس الخليل ونابلس حيث استوعبت لاجئين الا انهم لم يؤثروا على اجواء العلاقات في هاتان المدينتين كما في مدينة رام الله . ويمكن القول ان مدينة رام الله وحسب احصاء عام ١٩٥٣ شكل عدد اللاجئين فيها اكثر من ٦٢ ٪ من عدد السكان وقد أثر هذا على نمو السلوك والثقافة والحضارة والاقتصاد ولكل جوانب الحياة حيث قدم هؤلاء من كافة المناطق والقرى في فلسطين عام ٤٨ وكل جماعة جلبت معها مميزاتها وسلوكها الاجتماعي للمدينة سواء اكانت هذه الجماعات ريفية او مدينية وهذا ما زال بارزا في مدينة رام الله حيث من الصعب تحديد نمط سلوك اجتماعي عام يسود المدينة او معايير اجتماعية واحدة تحدد نمط تفكير سكانها بعكس (الخليل ، نابلس) وهذا ما يميز مدينة رام الله عن باقي المدن (نابلس ، الخليل) وهو عدم وجود معايير اجتماعية عامة تحكم سلوك الأفراد اي ان الرقابة الاجتماعية على سلوك الفرد في رام الله ضعيفة (هذا لا يعني بالضرورة غياب رقابة العائلة او الحمولة بسبب تنوع اصل السكان وانعدام علاقات القرابة بين الكثير من فئات السكان في المدينة بعكس مدن نابلس والخليل حيث يرتبط الكثير من السكان بعلاقات فيما بينهم سواء قرابة او نسب او غير ذلك ، وبذلك ندخل قلب الموضوع وهو الأسس التي تدفعنا الى اعتبار رام الله مدينة وبماذا تتميز عن الريف او المدن الاخرى . من اهم هذه السمات المميزة للمدينة :

١ - كبر الحجم مقارنة مع القرى وعدد السكان

Digitized by Birzeit University Library

٢ - مركز خدماتي وتعليمي وصحي (على اعتبار ان مستشفى رام الله هي اكبر مستشفى حكومي يحظى باهتمام دائرة الصحة نسبيا عن باقي المستشفيات ، كذلك تركز شركات صناعة الأدوية في المدينة وضواحيها).

٣ - تركز الكثير من المؤسسات الحكومية ذات الطابع المركزي فيها مثل دائرة التنظيم ، دائرة السير مركز الحكم العسكري (بيت ايل) . طبعا هنا لا نستطيع الفصل بين رام الله والبيرة في هذه المسألة مع أن قيادة الضفة موجودة على أراضي بيتين الا انما تتشكل عوامل جذب تستفيد منها مدينتي رام الله والبيرة.

٤ - مركز سياسي وهذا بالطبع بحاجة الى تفسيرسبب اكتساب رام الله هذا الموقع ويكفي للتدليل على ذلك ما حدث في الانتفاضة فعلى سبيل المثال اعتقل اكثر من ثلاث طواقم من القيادة الموحدة حتى الآن من سكان رام الله.

٥ - اعتماد معظم اهالي المدينة على اعمال غير زراعية تمتد من الصناعة ، الحرف ، التجارة الخدمات ، التعليم ، والزراعة لا تشكل نسبة تركز في مداخيل اهالي المدينة (قد تشترك مدن أخرى في هذه الميزة).

٦ - قرب موقع رام الله من القدس ونتيجة القوانين الاسرائيلية في منع السكن بالقدس لمواطني الضفة الغربية فان رام الله موقع مناسب لاولئك الذين تشكل لهم القدس مكان عمل.

ان العوامل السابقة والتي ذكرت تشكل اهم عوامل الجذب لمدينة رام الله وكذلك مميزاتها عن باقي المدن الأخرى ، وهناك ميزات اجتماعية أخرى ذكرت في سياق التحليل عن تكون سكان رام الله تشكل هي الأخرى عوامل تمييزية مهمة للمدينة فمعظم سكان رام الله كما يقول احد كبارالسن (زي شعير البياع) وهذا مثل يدل على التنوع وميزة المدينة في ان العلاقات بين سكان المدينة لا تقوم على اساس العائلة او القرابة (وهذه سمات ريفية مع وجودها في اطر ضيقة) ، انما على اساس المصلحة وهذا بحد ذاته يعتبر علاقات حضرية . وأهم ما يميز المدينة عن الريف والمصلحة هنا يمكن ان تكون العمل ، الزمالة في موقع العمل ، التجارة والسياسية حيث يمكن القول ان انعدام العديد من الروابط التقليدية والريفية في داخل المدينة اتاح المجال لبدائل كان اهمها في المدينة العلاقات السياسية لذا نجد ان حجم التسييس وعمقه في رام الله وجد قبل الانتفاضة بكثير وساعد وجود الجامعات وقيادات القوى السياسية على ذلك ، وهذا الوضع جعل رام الله ايضا تتميز وان تخطو خطوات اكثر تطورا في اعتبارها مدينة وهي الرقابة الاجتماعية على سلوك الأفراد حيث يمكن القول ان جوهر هذه الرقابة تختلف تماما عما عنه في الريف او في مدن أخرى .

ومن المؤشرات على ذلك هو علاقة الشباب والشابات فهذه ظاهرة مقبولة في رام الله ان يسير شاب وفتاة لا تربطهم علاقة قرابة في شوارع المدينة وكذلك نجد نظرة الناس الى طلبة جامعة بيرزيت الذين يسيرون بالشوارع بجماعات مختلطة اكثر تقبلا منه في نابلس بالنسبة الى طلبة جامعة النجاح او في الخليل لطلبة جامعة الخليل ، ويكمن ايضا السبب في ذلك في ان الشعور الفردي في رام الله (وهذه سمة مدينية) اعلى منه في الخليل او نابلس حيث التضامن الاجتماعي في رام الله وكما اثبتت الانتفاضة له مضمون سياسي بالدرجة الأولى وليس عائلي وعشائري كما هو في نابلس والخليل.

Digitized by Birzeit University Library

تداخل الريف في المدينة

ما ذكر سابقا كان للتدليل او التمييز بين العلاقات المدنية والريفية وطبعا في مجتمعنا كما ذكرت في البداية لا يوجد ريف كامل ولا حضر كامل فالتداخل موجود والتاثير والتأثر موجود كذلك ، والاثنان لا يمكن فصلهم جغرافيا فالنمطين متعايشان معا واحيانا يمتزجان لذلك عند الحديث يجب التمييز بين مسألتين. الاولى، المدينة كمركز خدمات وجذب للارياف المحيطة. والثانية ، امتداد العلاقات الريفية في المدينة. ومن هنا سوف ابدأ بمعالجة مدينة رام الله كمركز يخدم الارياف المحيطة به :

١ – رام الله كمركز اداري وحكومي

من المعروف ان من الأسباب التي تدفع الريفيين للتوجه الى رام الله هو بوصفها المركز الأداري الحكومي للتجمعات الريفية حولها. وبسبب سياسة الاحتلال الهادفة دوما الى ربط مصالح المواطنين اليومية مع الأدارة المدنية والتي مقرها رام الله – والبيرة. فان الآلاف من سكان القرى يتوجهون يوميا الى مقر الحكم العسكري وهذه حركة واسعة تشمل القضايا التالية :

المعاملات الادارية والخدمات : وتشمل تقديم جمع شمل ، تصاريح ، سفر ، تسجيل ، سكان ، هويات ، مقابل ضباط الإدارة المدنية. وغير ذلك من المعاملات الضرورية والحيوية ، براءة ذمة ، ضريبة ، وهذه حركة واسعة تقدر بالآلاف يوميا ويمكن رؤية مؤشراتها بالتجمعات البشرية امام مكاتب الأدارة المدنية ، الشرطة ، الضريبة ، والهويات. وقد ازدادت هذه الحركة اثناء الانتفاضة لأسباب سياسية نتيجة اجراءات السلطة لزيادة ارتباط السكان بالأدارة المدنية حيث يمكن القول ان انجاز اي عمل رسمي اصبح يتطلب زيارة دوائر الأدارة المدنية. وحاولت السلطة مؤخرا فتح مقرات للأدارة المدنية في الريف كجزء من تحويل اعمال المركز المديني الى القرى ، كمركز النبي صالح.
وكون رام الله مركز اداري لأكثر من ٦٦ قرية يشكل ذلك اكبر عامل جذب لسكان الريف للتوجه الى المدينة.

مركز صحي : يفتقر الريف بشكل عام في بلادنا الى ابسط مقومات الخدمات الصحية المقدمة للمواطنين حيث نجد افتقار واضح للعيادات الصحية او عيادات الاطباء او مراكز صحية ، وقد حاولت العديد من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية بنسب متفاوتة العمل من اجل سد النقص في الخدمات هناك حيث انشأت عشرات العيادات والمراكز الصحية الا ان هذه العيادات تفتقد الى التخصص والى الاجهزة الطبية اللازمة ومعظم عملها يتركز في معالجات اولية ، اما الاطباء الذين يفتحون عيادات لهم في الريف فهم اطباء الصحة العامة وليس الأخصائيين والهدف من العرض هذا هو التدليل على أن مستوى الخدمات الصحية في الريف لا يغني سكان الريف عن المدينة ومراكزها الصحية وعيادات الأختصاص ولمعرفة حجم هذه الظاهرة اخذت المركز الطبي (حنانيا وخراز) كمؤشر على ذلك حيث علمت انه من (٥٠ – ٦٠) مراجع من الريف يوميا يفدون الى هذا المركز علما بان الكشفية في هذا المركز هي مرتفعة بالنسبة الى المركز العربي ، والمختص بالطب العام.

ان مستشفى رام الله يعتبر اكبر مركز لاستقطاب الريفيين في المدينة سواء للعلاج او لزيارة المرضى حيث افاد الموظفين في المستشفى انه بين ١٠٠ – ١٥٠ مواطن من القرى يأتون يوميا الى المستشفى سواء للعلاج او لزيارة المرضى وعلمنا ايضا ان ٥٠ ٪ من اسرة المستشفى البالغ عددها ١٣٨ سرير يشغلها مرضى

Digitized by Birzeit University Library

من ريف رام الله . وتشكل العيادات الخاصة عامل استقطاب صحي واسع وخاصة في مجال طب الأسنان حيث يوجد ٢٨ عيادة اسنان تستقبل كل واحدة منهم حسب قول الدكتور (حازم عرفات) نقيب اطباء اسنان رام الله ما بين ٢٠ - ٣٠ مريض من القرى يوميا . ولم أقم بالحصول على أرقام واضحة عن حجم العيادات الأخرى وحجم المراجعين الا اننا نستطيع القول ان العدد واسع .

مركز تعليمي : ان الخدمات التعليمية مختلفة جدا في ريف رام الله حيث تعاني من شحة في عدد المدارس ، لذا شكلت المدينة منذ عشرات السنين مركز استقطاب للعديد من عائلات الريف الذين توجهوا لتعليم ابنائهم . وخاصة بعد تطور مدرسة الفرندز والمدارس الأهلية في المدينة. وان كان هذا الاستقطاب في البداية يقتصر على عدد من العائلات كالبرغوثي وعرنكي والريماوي الا انه ونتيجة للظروف الخاصة التي مر بها الشعب الفلسطيني وبروز التعليم منذ اوائل الخمسينات كأحد أهم آليات الحراك الاجتماعي للعديد من فئات السكان وزيادة اهتمامهم بتعلم ابنائهم ، نجد تزايد واتساع ملحوظ في التوجه للمدينة والسكن فيها لأغراض التعليم ولاحقا الاستقرار ونجد هذه الظاهرة واضحة عند عائلات البرغوثي والريماوي حيث ان السكن في رام الله لم يكن ليس سوى التعليم بحكم عدم وجود مصالح تجارية او صناعية تذكر لهاتين العائلتين في المدينة.

وبعد عام ١٩٦٧ ومجيء الأحتلال الاسرائيلي فقد ازداد الاهتمام بالتعليم بشكل واسع وايضا الانتقال للمدينة من اجل التعليم وساعد ذلك غياب المدارس الثانوية في الأرياف وان وجدت فهي قليلة وتفتقد الى القسم العالي ، لذا كانت حركة الطلبة من الريف الى مدارس رام الله واسعة جدا ففي عام ١٩٧٦ كان عدد طلاب المدرسة الهاشمية على سبيل المثال ١٢٠٠ طالب يشكلون ٦٠ ٪ منهم من ابناء الريف ، الا انه ولأسباب سياسية اصدرت الأدارة العسكرية قرارا يمنع طلب الأرياف من الدراسة في المدارس الحكومية ورافق ذلك انشاء أفرع ثانوية في عدد من القرى المركزية لاستيعاب هؤلاء الطلبة (١٩٧٨) وبقيت حركة استقطاب المدارس الخاصة كما هي حيث يشكل الطلبة القرويين ٣ و١٢ ٪ من مجموع الطلاب ويمكن سحب نفس النسبة الى المدارس الخاصة الأخرى ولا تقتصر حركة ابناء الريف للتعليم الثانوي بل يشمل ايضا التعليم العالي في المراكز التعليمية الأخرى وخاصة مركز معلمات رام الله الحكومي وكليات المجتمع العصرية وكذلك معاهد التدريب الخاصة وهذه الحركة وبسبب اغلاقها حاليا لم استطع احصائها بالضبط.

مركز للعمل : - تقدم المدينة فرص اكبر للحصول على العمل ولهذا العامل تشكل عامل جذب واسع لأبناء الريف . وهذه الظاهرة موجودة في كل المجتمعات وتفسر اسباب الهجرة الداخلية من الريف الى المدينة، وفي الريف الفلسطيني الذي كان يعتمد بشكل اساسي على الزراعة ونتيجة لأجراءات الاحتلال الاسرائيلي في ضرب الزراعة الفلسطينية وافتقادها لعناصر الجاذبة للأيدي العاملة ادى الى توجه الاف الريفيين الى مصادر اخرى للحصول على عمل ، وهذه المصادر تتحدد في الهجرة سواء خارجية (الى خارج البلاد) او داخلية الى اسرائيل او مدن الضفة ، وفي ريف رام الله حيث طبيعة الارض الجبلية ضاعف حتى التوجه الى المصادر البديلة ، وما يعنينا هنا هو العمل في مدينة رام الله ، حيث توجهت اعداد واسعة للسكن في رام الله من اجل العمل او اقامة مشاريع مختلفة في المدينة. وهنا لا بد من التفريق بين جانبين في الهجرة الداخلية من ريف رام الله الى المدينة.

Digitized by Birzeit University Library

(١) الهجرة الدائمة : اي السكن والاستقرار النهائي في المدينة . وهذه نسبة واسعة موجودة في المدينة وابتدأت منذ الخمسينات وتعززت مع قدوم الأحتلال الاسرائيلي وتركز عمل هؤلاء في الاستثمار التجاري (حملات تجارية) وفي الوظائف الحكومية او مؤسسات التعليم ، ولتبيان هذه الظاهرة اي حجم الريفيين الذين يملكون محلات تجارية في المدينة فقد قمت بعمل مسح لاحد شوارع المدينة وهو شارع الأذاعة (المحلات الممتدة من موقف تكسيات بيرزيت وحتى محلات زيتون اخوان) . ووجدت التوزيع التالي :

ان انواع المحلات الموجودة تقدم خدمات متنوعة ومختلفة بحيث تشمل البقالة واللوازم المكتبية ، الغذائية وأن معظم اصحابها هم من القرى المجاورة خاصة لبيرزيت حيث نسبتهم حوالي ٥٠ ٪ من المجموع ويسكنون مدينة رام الله . كذلك من اجل توضيح الصورة أكثر قمت بمسح لأحد جوانب الشارع الرئيسي وكان التوزيع حوالي اكثر من ٩٠ ٪ المالكين هم ليسوا من رام الله ومعظمهم من اللاجئين كذلك مكان سكن ٩٠ ٪ هم من سكان المدينة وهذا الشارع يتميز بالتخصيص في محلات النوفوتيه حيث ٦٠ ٪ من المحلات التجارية هي لبيع الملابس .

من المسحين السابقين يتضح ان حوالي ٥٠ ٪ من المحلات التجارية في احد الجوانب شارع الاذاعة هم من الريف المجاور لرام الله بالذات اي من القرى الواقعة الى الشمال من المدينة وحيث يقع موقف السيارات التابع لهذه القرى في المدينة .

وهذا برأيي له دلالة هامة في موضوع البحث حيث الاستثمارات التجارية في المدينة لها علاقة بالاحوال الريفية ، باختيار موقع المحل التجاري هو لأستثمار العلاقة مع الريف من اجل تحقيق المصلحة التجارية ، فمن المعروف ان كل القادمين من قرى شمال رام الله (ابو قش ، بيرزيت ، كوبر ، بني زيد ...) تكون وجهتهم هذا الشارع ولمقاهم المقهى المجاور للتكسيات ، فاي شخص يريد لقاء احدا من تلك القرى يتوجه الى الشارع او المقهى او احد المحلات التجارية هناك ، ويتعامل هؤلاء الريفيين مع تلك المنطقة وكأنها امتداد لقراهم في علاقاتهم فحين يأتي أبناء بني زيد الى المدينة لقضاء حاجياته يتوجه الى الصالون أو المقهى لرؤية ابناء بلده في المدينة او للتشاور او الحديث وعند شراء حاجياته يضعها في احد المحلات او في المقهى لحين الأنتهاء من عمله في المدينة ، وتعمل هذه المحلات كمركز لجمع اخبار القرية التي ينتمي اليها صاحب المحل.

ومما يؤكد ذلك هو دراسة الشارع الآخر حيث ان موقف التكسيات هو للقدس ولذلك نجد ان نسبة الريفيين في هذا الشارع تكاد لا تتركز كما هي في شارع الاذاعة ونفس الشيء ينطبق على الشوارع التي تقع بها مواقف تكسيات وياصات لتجمعات القرى الأخرى ، ففي رام الله التحتا حيث كراج باصات وتكسيات (القرى الغربية) نجد وجود مقهى يعود الى احد سكان قرية نعلين وكذلك عدد لا بأس به من المحلات التجارية تعود لسكان تلك المنطقة ، وفي منطقة المنارة حيث يقع موقف تكسيات (بدو ، بيت عنان ، القبيبة ....) نجد ان مقهى (ابو شعبان) يعود لأحد سكان قطنة وعدد من المحلات التجارية المجاورة تعود الى سكان تلك المنطقة ، المهم في هذه المسألة انه حتى ابناء الريف الذين لديهم مصالح تجارية يستمدون قوتهم التجارية من

Digitized by Birzeit University Library

علاقاتهم بالريف ومن صلاتهم مع اقرابهم ، وللتدليل على ذلك توجهت الى محل بيع الدهان في شارع الإذاعة من قرية كوبر وأكد ان معظم زبائنه هم من منطقة (ابو قش ، ابو شخيدم ، المزرعة الغربية) . وهذا يعود الى ان الاستثمار الريفي في المدينة لا يعني بحال من الاحوال الى قطع الصلة مع الريف او بداية نشوء علاقات مدينة عند هؤلاء المستثمرين (فهم يحافظون على مضمون علاقات ريفية حتى ولو كانت الأشكال مدنية) .

(ب) الهجرة المؤقتة : اما الجانب الثاني للهجرة من الريف الى رام الله من اجل العمل مع عدم الاستقرار في المدينة. فهذه ظاهرة واسعة وتقتصر على ما يبدو على الموظفين الصغار في المدينة وعلى العمال في المصانع ، ويمكن تفسير ذلك هو عدم وجود القدرة المادية لدى هؤلاء للإستقرار في المدينة مما يتبعه ذلك من ارتفاع في تكاليف المعيشة والاضطرار لدفع بدل سكن وهذا يبرز اكثر عند فتيات الريف اللواتي يعملن في المدينة ومصانعها او كسكرتيرات او عاملات خياطة وهذا ممكن تفسيره باسباب اخلاقية محافظة ، وعن حجم هذه الظاهرة توجهت الى مصنع سلفانا حيث يعمل هناك ١٨٠ عامل وعاملة وموظف فني واداري تبلغ نسبة الريفيين الذين يفدون يوميا للعمل في المصنع ١١٠ عامل وعاملة معظمهم من العاملات (اكثر من ٦٥عاملة). ويتضح الحجم اكثر لدى شركات الأدوية ، ففي شركة فلسطين لصناعة الادوية حيث يعمل ٥٥ عامل وعاملة تبلغ نسبة الريفيين الذين يفدون يوميا حاليا ب ٢٣ عامل وعاملة معظمهم عاملات ، ولم اقم بالطبع بمسح شامل لعدد العمال والعاملات الريفيين الذين يفدون الى باقي مصانع المدينة ، ولكن من اجل تحديد حجم قدوم الريفيين يوميا الى المدينة قمت برصد حجم حركة السير (الباصات العاملة والسيارات).

لمعرفة ذلك توجهت لشركة باصات سلمة ، بيرزيت ، شركة باصات القرى الغربية ، وايضا الى مواقف السيارات التي تعمل على الخطوط المخططة وذلك بهدف حصر العدد الأيجابي للركاب الذين يستخدمون هذه المواصلات وتبين انه يفد يوميا ما بين الساعة الخامسة والنصف حتى الثامنة صباحا اكثر من ١٠٠٠٠ شخص سواء عمال وعاملات وطلاب واصحاب مهن ووظائف.

ولا شك ان هذا الرقم هو تقريبي ونعتقد ان هذا الرقم اعلى وانه غير ثابت في كافة الأيام حيث يزداد العدد اكثر كما أفاد اصحاب السيارات والباصات انه العدد يزداد في ايام ما قبل الاضراب العام واليوم الذي يلي الاضراب ، وكذلك في المناسبات كرمضان والاعياد ، والتخوف من مناسبات (حدوث منع التجول).

ويجدر ان حركة الريف الى المدينة قد تغيرت قبل الانتفاضة وفي ظلها حيث كان يوم السبت قبل الانتفاضة من اكثر الايام حركة للريفيين باتجاه المدينة ولكن بعد الاجراءات الأسرائيلية لوقف هذه الحركة عملت السلطة الى وضع نقاط تفتيش للحيلولة دون وصولهم الى المدينة ومقارنة حركة الشارع (المنارة ، منطقة الباصات) نجد ان هذه الحركة مكتظة ما عدا يوم السبت حيث اصبحت خفيفة والكثير من باعة المحلات والخضار والفواكة يعملون الآن الى عدم جلب بضائع يوم السبت بسبب ضعف الحركة يوم السبت وهذا مؤشر على ان الحجم هو كبير في القدوم يوميا.

Digitized by Birzeit University Library

سأحاول في هذا الجانب من البحث ان ارصد كيف تعكس نفسها علاقات الريف في المدينة من خلال عرض عدد من الظواهر وتحليل مضمونها الريفي ، وان ذكرت في السابق بعضها عند الحديث عن (المحلات التجارية) الا انه من الضروري عرض بعض التفصيل .

أ – الاستثمار التجاري والعقاري : تحدثنا عن هذا الجانب في السابق ولكننا هذا سنعطي مؤشرات ذلك ، وأهم مؤشر في ذلك هو اسماء العقارات والمحلات التجارية والمرتبطة باسماء القرى ومنها محلات الديواني ، محلات السنجلاوي للدهان ، محلات العطاري للصرافة ، محلات الريماوي للتجارة العامة ، محلات السلوادي ، وهناك العشرات من الاسماء المشابهة وأخذت هذه الأسماء للقرى المجاورة في رام الله ولم اتطرق لأسماء مرتبطة بقرى عام ١٩٤٨ تعود الى اشخاص اصولهم من هذه القرى ، كالطريفي ، النبالي ، الياسيني ، وغير ذلك ، مع أن ذلك يعود الى نفس الظاهرة ، وأصبح ايضا معروف في المدينة العديد من العقارات والعمارات تسميتها مرتبطة باسم القرية كعمارة الرموني ، المالكي ، السلوادي ، الجلجيلي (نسبة الى جلجيليا) ، عمارة اللبن ، عمارة اللفتاوي وفي اعتقادي ان هذا يعتبر مؤشر للأمتداد الريفي في المدينة خاصة حيث المقارنة مع العمارات التي تعود الى اشخاص اصلهم مدني فالتسمية لا ترتبط بالمدينة وانما بالعائلة كعمارة طنوس ، قندح ، حنانيا وخراز ، امية . كذلك اسماء عامة مثل السنترال وهكذا ، وقد يخطر في البال ان تسمية العمارات التي تعود للقرى قد يكون ايضا مرتبط بالعائلة كالسلوادي مثلا فان هذا احتمال ايضا لكن مع الترجيح ان التسمية مرتبطة بالأذهان الى اسم القرية وليس العائلة.

ب – العلاقات العائلية : ان كان ما يميز المدينة عن القرية هو التغير الذي يحدث على تركيب العائلة وعلاقاتها الداخلية ، فالمدينة تمتاز بسيادة العائلة النووية وعلاقتها على حساب العائلة الممتدة وعلاقتها الاجتماعية ، واستطيع القول أن هذه مسألة لم تصلها المدن في الضفة الغربية وقطاع غزة ، هذه الظاهرة تؤكد امتداد الريف في المدينة وتعزز الاعتقاد أن المدينة عندنا لم تصل بعد الى بناء مفهومها الاجتماعي الكامل وان كانت هناك اسباب اخرى تدفع في مجتمعنا سواء الريفي او المدني للتمسك بالعائلة بسبب انعدام الأمن الاجتماعي وبسبب كون وجود دور ايجابي للعائلة في ظل ظروف الاحتلال ، والأفتراض النظري الموجود هو ان العائلة الممتدة وعلاقتها نشأت في الريف حيث الاعتماد على الارض والزراعة واللتان تشكلان الاساس المادي للعائلة الممتدة. وحتى العائلة الممتدة حدثت تغيرات جوهرية في مضمونها في الريف ولكنها استمدت مفهومها وبشكل السكن في الريف.

وما يهمنا هنا هو استمرار مفهوم العائلة الممتدة وشكلها كنمط علاقة ريفية في المدينة ، وفي حالة مدينة رام الله ، يمكن تبيان ذلك في الإجابة على الاستفسارات التالية : ١ – هل هناك عائلات ممتدة تسكن في نفس البيت او الحوش ، وهل يوجد اساس اقتصادي لذلك . ان الاجابة على هذا الاستفسار يشكل

Digitized by Birzeit University Library

تشخيصا للأمتداد الريفي في المدينة . أن هذه الظاهرة موجودة بوضوح في عدد من احياء المدينة فعلى سبيل المثال نجد عائلات ممتدة تسكن في نفس المنطقة ، ومع أن شكل السكن والبناء هو حضري ويختلف عن الحوش في القرية الا ان علاقته الداخلية هي نفسها علاقة العائلة الممتدة من حيث سيطرة الأب والجد البطريركية مثل عائلة الطريفي ، حيث نجد ان الأساس الاقتصادي هو واحد للعائلات النووية ومرتبطة بالجد (ابوية) ، وطبعا تملك كل عائلة بيتها الخاص المجاور وياسم رب العائلة النووية نفسها الا ان الاعتماد الأساسي لكل هذه العائلات هو الكسّارة (الارض سابقا) ، والذي يملك الكسّارة هو شخص واحد (الجد) ويعمل الأبناء فيه وان كان عدد من الابناء يعملون في مهن أخرى نتيجة للحراك الاجتماعي (الطب ، الهندسة، المحاماة) الاّ ان الدخل الأساسي حتى لهؤلاء هو الكسّارة ، ونجد في هذه العائلة نمط علاقات ريفية من حيث سيطرة الجد ومن ثم الأبن الأكبر ، لا يوجد دور للمرأة في المقدار وتعتبر هذه العائلة نموذجا (نمط علاقات ريفية في اطار حضري) .

هناك العديد من عائلات دير طريف نجد لديها نفس العمارة التي تعود لأبيهم وان كان لكل ابن بيته الخاص عائلة درّس ، وعائلة الشيخ عطا وما يميز هذه العائلات هو وجود اساس اقتصادي واحد لها اما مشروع كسّارة او محل تجاري او مهنة وهذا ما يعزز ترابطها العائلي وتجدر الأشارة ان العديد من العائلات في المدينة ذات الأحوال المدنية (اللد ، يافا ، الخليل وغير ذلك) مثل عائلة الكرزون يعيشون في عمارتين متجاورتين ويعملون في نفس الكراج أب واربع ابناء وعائلة الشويكي (الخليل ، يعملون في الزجاج) عائلة الشروقي ، وحتى عائلات ذات تاريخ حرفي نجد عندها نفس النمط والمقصود السكن في نفس المنطقة مثل عائلة طنوس. ونجد أيضا احياء يسودها نفس النمط ولكن بشكل اكثر ريفية وأكثر محافظة على علاقات الريف وذلك في رام الله التحتا (منطقة الباصات) حيث تسكن غالبية من منطقة الخليل تربط بينهم علاقات قرابة ونسب (القيسية) وهذه العائلات تسود بينها علاقات الريف بشكل كامل وان كانت المهن المختلفة ولكن اساسها الاقتصادي واحد وهو التركيز على العتالة ، باعة متجولين ، ولا يوجد ملكيات تجارية او صناعية لهؤلاء. حي الحارة التحتا يمكن اعتباره نموذجا حيا لأمتداد الريف في المدينة ، حيث اي زائر الى تلك المنطقة ينظر اليه بأنه غريب ، وتقوم الأعين بملاحقته ، وكذلك الرقابة الاجتماعية في الحي على سلوك افرادها قوية وكبيرة ، وينعكس ذلك على سلوك الشبان والفتيات ، وفي كثير من احياء المدينة نجد ارتفاع لمفهوم (الحارة) وعلاقته الأجتماعية حيث تجد ان هناك استبدال للحوش في القرية بالحارة في المدينة وبهذا الصدد نجد ان هناك حارات في المدينة تسودها علاقات القرية بمختلف جوانبها بعكس حارات أخرى ويبرز ذلك في الأحياء الفقيرة اكثر منها في الاحياء الغنية فمثلا لا نجد الدلالات الاجتماعية للحارة في حي (المصيون) كما نجدها في حارة (الشقرة) او حارات رام الله التحتا ، لذا نجد في المدينة انماط متناقضة من السلوك الاجتماعي بين حارة وأخرى واذا أخذنا مقياس العلاقة بين الشاب والفتاة نجدها اكثر بروزا وانفتاحا في الحارة الفوقا من عين مصباح عنها في الحارة التحتا، ومعروف في المدينة ايضا شوارع يطلق عليها (للعشاق) مثلا شارع الطيرة دار المعلمين ، وغير ذلك ولا يكمن السبب في الهدوء بقدر ما هو مرتبط برد الفعل الأجتماعي في هذه المناطق.

ج – الحاكورة : لا اعتقد أن المفهوم الريفي للحاكورة وجود يذكر في مدينة رام الله اذا اخذنا ان مفهوم الحاكورة هو من اجل الاستثمار الفلاحي الصغير او الاستهلاك الصغير بعكس مدينة الخليل مثلا ، ويعود

Digitized by Birzeit University Library

السبب في ذلك ان معظم سكان المدينة هم ليسوا منها ولا يملكون اراضي بها وأن كان أحد يملك فهو قد اشترى الأرض لأغراض البناء وليس للاستثمار ، ولكن يمكن القول ان بعض مؤثرات الريف في شكل البناء حيث يكثر استخدام السور حول المنزل ولكن يمكن اعتبار ذلك كمظهر جمالي. وفي ظل الأنتفاضة وبعد انتشار شعارات الاقتصاد المنزلي او البيت حدث شيء له دلالة في المدينة حيث كان التجارب كبيرا وبدأ الإهتمام بالحاكورة بمفهومها الاقتصادي الريفي ولكن يمكن تفسير ذلك بسبب سياسي للوهلة الأولى الا انه لا يصمد كثيرا لدى مقارنة التجاوب عنه في نابلس مثلا ، مع أن السبب السياسي هو وحده ، هذا يجعلنا نعتقد أن الاصول الريفية في مدينة رام الله ما زالت قوية وان تأثير هذه الاصول على المفاهيم ايضا لا زال قويا في هذا المجال.

د – **اللهجات** : – لا يمكن القول ان الريف أثر على مدينة رام الله باللهجة بحكم ان لهجة سكان رام الله الأصليين هي لهجة ريفية واللهجة المدنية هي التي جاءت الى رام الله واثرت فيها خاصة من لاجئي مدن عام ١٩٤٨ (اللد ، يافا ، الرملة) ، وكذلك من اهالي مدن الخليل ونابلس الذين انتقلوا للسكن في المدينة . من هنا فان الحديث عن اللهجة لن يكون تأثير اللهجة الريفية على المدينة بل العكس صحيح لأن الأصل هو اللهجة الريفية والسبب في ان اللهجة المدنية هي التي تؤثر يكمن في النظرة الاجتماعية الدونية للهجة الريفية عند سكان رام الله ذوي الأصول الريفية فاقتباس اللهجة المدنية له علاقة بالتحضير والتمدن حيث النظرة الاجتماعية للتحضير هي اعلى مرتبة ولا ينظر للتحضير كظاهرة موازية لظاهرة الريف في مجتمعنا . ويبرز التأثير باللهجة المدنية عند الاوساط الريفية التي انتقلت مرتبتها الاجتماعية الى اعلى كالمثقفين او طلاب الجامعات او الاساتذة او المهاجرين الى الخارج ، ولا تنتشر هذه الظاهرة عند الفئات الريفية الدنيا (المقصود الأوساط القادمة) والتي ما زالت تحافظ على لهجتها . وياعتقادي ان هذه الظاهرة يمكن تحليلها ضمن آليات الحراك الاجتماعي والتوقع الاجتماعي حيث يمكن القول ان اللهجة المدنية تزداد عند تلك الاوساط الريفية التي تحركت اجتماعيا الى اعلى وطبعا يعتمد على آلية التحرك فهذه القاعدة صحيحة اذا كانت الآلية هي التعليم او الهجرة بينما اذا كانت الآلية هي التجارة او المهنة فاننا نرى ان التأثير او السعي لأقتباس اللهجة المدنية يكون اقل.

ه – **اللباس** : للحديث عن هذه المسألة يجب التمييز بين أجيال ذات اصول ريفية موجودة ، فانعكاس لباس الريف موجود فقط برأيي عند الجيل الريفي الأول الموجود في المدينة (كبار السن) بينما لا ينتشر اللباس الريفي في الاجيال التالية وطبعا هناك عوامل عديدة تفسر ذلك لست بصددها الآن ، وطبعا هذا لا يعني عدم انعكاس مفاهيم ريفية على اللباس للأجيال الشابة مع انه لا يمكن وضع مؤشرات كافية ومقنعة ولكن يمكن وضع مؤشر لقياس هذه الظاهرة هو النظرة او التعامل مع الأزياء ومع ان ذلك موضوع شائك يدخلنا في علاقة مفهوم المحافظة بالتمدن . فهل المحافظة هي ظاهرة ريفية والتحرر مدينة ام لا ؟ وهذا برأيي لا يمكن الاجابة عليه بحكم الكثير من الإجتهادات بهذا الصدد والظواهر المتناقضة فعلى سبيل المثال اللباس الأسلامي المحافظ وهو ظاهرة محافظة تنتشر اكثر في المدن منه في الريف ، فهل يعني ذلك ان المحافظة مرتبطة بالمدن ؟

Digitized by Birzeit University Library
مكتبة جامعة بيرزيت

المراجع

ابو ريا ، خليل – رام الله قديما وحديثا – اتحاد رام الله الأمريكي ١٩٨٠

الدباغ – مصطفى مراد بلادنا فلسطين – الجزء الثامن

د . فرمند ، اندراوس – مقابلة شخصية ، صيف ١٩٩٠

الصيدلي – طوباسي ، اميل – مقابلة شخصية ، صيف ١٩٩٠

قدورة ، يوسف – تاريخ في مدينة رام الله مطبعة الهدى نيويورك ١٩٥٤

(المقابلات الشخصية الاخرى ذكرت في المتن)

Digitized by Birzeit University Library

٤. الاقتصاد غير الرسمي في رام الله

ناديا الانصاري

Digitized by Birzeit University Library

الإقتصاد الرسمي والغير رسمي في المدينة

الاقتصاد الرسمي : هو كل ما يقوم به الناس من أعمال سواء تجارية ، زراعية ، صناعية ، اقتصادية وفق التشريعات الاقتصادية او القوانين التي تحدد هذه العلاقات في الدولة المعنية. اما الاقتصاد غير الرسمي : فهو ظاهرة موجودة في كل بلد لتعاملات مشروعة وغير مشروعة تشكل جزء مهم من الدخل المحلي لكنها غير داخلة في سلم الدخولات والمصروفات الخاضعة للضرائب مثل التهريب ، تسجيل اراضي بطرق رسمية ، البسطات ، صرافي الشوارع ، الشحدة ، في البلدان الفقيرة التسول يدخل جانب كبير من دخل الفئات المتدنية. وهذه الظاهرة تعرفها كافة المجتمعات بدون استثناء وخاصة المجتمعات الرأسمالية.

يحاول كل مجتمع ان يطور قوانين بحيث يستطيع تقنين حجم التداولات الغير رسمية لتنظيم عملياتها وحركتها. ولا اعتقد اننا نستطيع الوقوف على جذور هذه الظاهرة بحكم ان لها امتدادها التاريخي في كافة المجتمعات وتتعلق بطبيعة التطور الاقتصادي والاجتماعي لكل مجتمع وايضا لطبيعة الانسان نفسه الذي يسعى للحصول على كل ما يريد بأقل الوسائل واسرعها. وفي السابق اوعزت الأنظمة الإشتراكية انها تستطيع وضع حد لهذه الظاهرة من خلال تحقيق الرفاهية الإقتصادية حسب القانون الإقتصادي الإشتراكي والذي يتقن كافة مجالات الحياة الاقتصادية ، ولكن اتضح في الفترة الأخيرة ان اساليب الإقتصاد الغير رسمي كانت منتشرة سواء بطريقة الرشاوي والفساد والمحسوبية في الأجهزة البيروقراطية للدولة او سواء في نشوء السوق السوداء (تبديل العملة) ، وتجارة الممنوعات من البضائع الغربية في الأسواق الإشتراكية ، اما المجتمع الرأسمالي فالأمور به واضحة واكثر مشاهدة للعيان والاحصاءات الرسمية في هذه الدول تعطينا بالارقام حجم التعامل في ظواهر الإقتصاد الغير رسمي (المخدرات ، السرقات ، الجرائم ، الرشاوي .....) ، اما في دول العالم الثالث والذي يسوده التخلف والفقر والعودة والمجاعة وضعف في البت الاقتصادية للدولة وانخفاض حاد في مستوى المعيشة وايضا انتشار البطالة بشكل واسع . كل هذه العوامل تشكل ارضية خصبة ومناسبة لنشوء وسائل واشكال غير رسمية تهدف للحصول على المال سواء اكان ذلك بالجريمة او الإتجار في الممنوعات. وطبعا هذه الظواهر نجدها ملموسة في معظم مدن العالم الثالث وتنتشر بشكل اساسي في احياء الفقر والحرمان . وتتركز في احزمة الفقر حول المدن سواء العديد من احياء هذه المدن وله قوانينه الخاصة ونظامه ايضا الخاص والمعروف على مستوى عام ويبدو وكأنه نظامي تتغاضى عنه الدول المعنية ، فمثلا في السابق كان الجميع يعرف حتى على مستوى عربي ان حي الباطنية مثلا في القاهرة هو مركز للمخدرات والجريمة وكذلك الأمر في احياء في نيودلهي ، ومكان زراعة المخدرات في افغانستان وبيرما ، وأيضا تجارة الأطفال في جنوب شرق آسيا ، وتجارة الهياكل العظمية والجماجم المنتشرة في الهند الى الغرب ، وفي كولومبيا اثبتت الحرب التي شنتها الحكومة على عصابات التهريب مدى عمق هذه الظاهرة وثباتها ونفوذها ومدى معرفة الحكومة بذلك بل اصبحت تهدد حكومات ودول. وطبعا نحن لسنا بصدد الحديث عن الجريمة المنظمة في امريكا واوروبا وقوانينها واستثماراتها لأن ذلك بحاجة الى بحث خاص ويمكن تفسيره على انه محاولة لتقنين هذه الظاهرة واستيعابها في المجتمع.

Digitized by Birzeit University Library

وفي مجتمعنا الفلسطيني والذي يعيش في ظل ظروف خاصة ، وجود عوامل عديدة منها قسري وخارجي تحكمت في تطوره التاريخي والاقتصادي والاجتماعي. بحيث يمكن القول ان التطور كان مشوه مما يؤدي الى نشوء تربة خصبة اكثر لنشوء اقتصاد غير رسمي ، سنحاول في هذا البحث المتواضع عرض لهذه الظاهرة من خلال مشاهداتنا المباشرة لهذه الظاهرة ومن خلال المقابلات الميدانية التي اجريناها مع عدد من العاملين في هذا القطاع. وحاولنا ايضا استشفاف طبيعة العلاقة بين الاقتصاد الرسمي والغير رسمي في المدينة . علما بأن حجم الظاهرة ازداد بشكل واسع خلال الانتفاضة وتعددت اشكالها ووسائلها بحيث لا يمكن حصرها بشكل محدد .

وسيلة البحث : كانت الوسيلة الأساسية هي التعرف المباشر والمقابلة الشخصية مع عدد من القائمين بالاضافة الى معلومات مسبقة حصلنا عليها عن ظواهر هذا الاقتصاد . وأستطيع القول انه امكننا ان نحصر الأشكال التالية والتي يمكن اعتبارها مظاهر الإقتصاد غير الرسمي الموجودة في المدينة : الباعة المتجولين ، اصحاب البسطات ، العتالين ، المخدرات ، الشحدة ، السرقات ، السائقين بالاجرة ، التهرب من الضرائب ، الاثاث القديم ، سيارات البيجو والخاصة ، خادمات البيوت ، تجارة الادوية ، اموال الانتفاضة (معتقلين ، جرحى ، شهداء) ، ويمكن ان يكون اشكال اخرى لم نستطع الوصول اليها او نشاهدها مع علمنا المسبق بوجود اشكال اخرى خاصة ان الانتفاضة حاليا افرزت كثير من الأشكال ورفعتها على السطح خلافا لبداية الانتفاضة التي استطاعت ان تقضي على عدد من الظواهر السلبية. ويكفي للتدليل على انتشار العديد من ظواهر الأقتصاد الغير رسمي هو الابحاث الخاصة في حساب الدخل القومي في الضفة والقطاع والتي تشير الى ان مجتمع الضفة والقطاع هو على حاجة الافلاس الإقتصادي ولكن مجريات الحياة اليومية يشير العكس ، فمثلا عند حساب دخل الفرد السنوي في الضفة والقطاع من الاقتصاد الرسمي لا بد ان يؤدي الى نتيجة ان عدد من القطاعات السكانية لا تجد القوت الضروري لأولادها ، ولكن في تدخل الى بيوت قسم منهم اي من هذه القطاعات تجد ان مستوى المعيشة هو أعلى كثيرا من الدخل الرسمي ، وطبعا هذا انطباع عام للوهلة الأولى وبحاجة الى بحث مستفيض ، ولكن بما اننا ننطلق من مشاهدتنا في هذا البحث فيمكن القول ان انتشار التلفزيونات الملونة والفيديو في مخيم قدورة (جزء من رام الله) هو اكثر منه في احياء يمكن اعتبارها للطبقة الوسطى ان صحّ التعبير (المنطقة المحيطة بدار المعلمين ودائرة السير) ، وكذلك الأمر انتشار ملكية السيارات في احياء رام الله الفقيرة (رام الله التحتا ، مواقف الياصات) ، تشير ايضا الى انتشار الإقتصاد الغير رسمي لأن ليس من المنطقي ان شخصا يعيل اسرة من ١٠ اشخاص ويعمل عتالا او صاحب بسطة خضار يملك تلفزيونا ملونا مع فيديو وسيارة مع انه ساكن في حي فقير بغرفة او غرفتين. وعلى كل يمكن القول في مدى اتساع هذه الظاهرة ان الناس وبالذات في الاحياء الشعبية يعيشون في مستوى معيشة اعلى مما يؤهلهم الدخل الرسمي حسب الإحصائيات والحسابات الاقتصادية الرسمية.

الباعة المتجولين ، اصحاب البسطات والعتالين

من المعروف هناك قوانين خاصة تنظم سوق الخضار موجودة منذ زمن الأردن واضيف عليها قوانين عسكرية وتعديلات عليها بالاضافة الى قانون البلديات حيث هناك صلاحية للبلدية للإشراف على هذا السوق ، فمعروف ان حسب نابلس واريحا هما مركزيان.

Digitized by Birzeit University Library

ويتركز تجار الخضرة الكبار الذين يشترون المحاصيل من المزارعين ويقوم هؤلاء بدورهم ببيعها الى تجار في الحسب الأخرى ومنها تجار في حسب رام الله . ويقوم هؤلاء ببيعها الى الباعة الصغار الذين لهم مكان ثابت مستأجر بعقد من البلدية وهذا الشكل هو الرسمي في الموضوع ، ولكن ما هو غير الرسمي ، هو ان التجار يبيعون الخضرة لمن يريدون دون الأخذ بعين الاعتبار هل يملك بسطة شرعية ام لا فكل من يملك عربة يقوم بشراء خضار او فاكهة ويقوم ببيعها الى المستهلك مباشرة ، وهؤلاء يأخذون امكنة لهم خارج الحسبة وفي مواقع حساسة مما يخلق باستمرار خلافات مع البلدية ومع اصحاب البسطات (بشكل رسمي). خاصة انهم لا يدفعون بدل ايجار للبلدية او ضريبة ، ولكن مع الزمن تمت محاولات من اجل استيعاب هذه المسألة من قبل البلدية حيث اصبحت تقوم بتضمين الحسبة الى متعهد لقاء اجر سنوي يقوم هذا نفسه بتحصيل الأجارات من اصحاب البسطات وايضا المحافظة على ارض الحسبة. وهذا الضامن بدأ يضع قوانين يسمح بموجبها لكل من يريد الوقوف بعربة او يبيع على الارض مقابل اجر يومي (٢٠ شيكل) وطبعا هذا لمصلحة الضامن ان يزيد عدد اصحاب العربات والباعة المتجولين ولكن هذا يتضارب مع مصلحة مستأجري البسطات الثابتة حيث يقول احدهم لدى مقابلتنا اياه " ان تضررنا كثيرا من ذلك ، فأنا ابيع بدنوره وهناك ثلاثين عربة تبيع بدنوره ويقفون في الشارع والمستهلك اقرب له ان يشتري من العربة من اجل ان يدخل الى هنا خاصة ان اصحاب العربات لا يدفعون اجره بسطة ولا ضريبة ويقومون بالمضاربة على السعر بينما نحن فعلينا التزامات كثيرة ليس مثلهم ، (١) وغالبية هؤلاء هم اولاد حسب تعبيره ليسوا مسئولين عن عائلات وليس عندهم التزامات ومش فارقة عندهم) .

ما لاحظناه ان الصراع بين ما هو رسمي وغير رسمي في الحسبة هو ظاهر وبارز ويأخذ في حالات كثيرة اشكال عنيفة وتبرز مسألة الفتوة والزعرنة في الحصول على موقع مناسب بين اصحاب العربات نفسها ، حيث يقول احدهم لدى استفسارنا ، (موقعي هنا ليس ثابت ، يوم هنا ويوم هناك ، وهذا الموقع ممتاز ومن يأتي اولا يحصل على مكان انسب ، واحيانا بالقوة نحصل على هذا الموقع ، وكثيرا ما حدثت مشاكل على هذا الموقع. (٢)

ولدى سؤالي عن مدى الضرر الذي يلحقونه مع اصحاب البسطات الثانية في داخل الحسبة اجاب ، " كل انسان تأتيه رزقته والله يرزق الجميع ".

وسألناه عن مصادر البضاعة اجاب انه يجلبها بعض الأحيان من تجار الجملة هنا في الحسبة ، واحيانا اذهب بنفسي الى اريحا ونابلس او الى المزارعين مباشرة ، وهذه ممتازة بالنسبة لي لأني احصل من المزارع مباشرة بدون فواتير وبدون كومسيون ولكن المسألة غير ثابتة. (٣)

واجاب ايضا انه فقط منذ عام يعمل في هذا المجال وان الكثيرين من زملائه هم ايضا حديثوا العهد في ذلك والسبب كما يقول لا يوجد اعمال في ظل الإنتفاضة وهذا عمل جيد مع انه غير ثابت ومتقلب خاصة انه محفوف بالمخاطر جراء الجيش ورشق الحجارة والإضرابات ، فأيام يحدث منع تجول فتفسد البضاعة ، وعلى كل حال فإنه يحصل على متوسط دخل يومي ٣٠ - ٥٠ شيكل لقاء هذا العمل ولا تقتصر ظاهرة

Digitized by Birzeit University Library

البسطات والعربات على بيع الخضار بل هنالك العشرات من الباعة يبيعون قضايا متنوعة مثل ساعات وملابس اطفال وخردوات واشكال اخرى. وقابلنا احد هؤلاء حيث يقيم بسطته (مقابل عمارة قندح) ، حيث اجاب انه يعمل بالليل في احد المخابز بإسرائيل وفي الصباح يأتي الى البسطة لمدة اربع ساعات ويقول ان البضاعة يحصل عليها من اسرائيل بطريقة شرعية من تجار هناك وبواسطة فواتير اي نفس مصادر بضاعة النوفوتيه (هنا يجب ملاحظة ان كان خائفا ومرتبكا كثيرا من الاجابة خاصة انه متخوف من الضرائب) . ويقول انه يربح ما بين ٢٠ -٣٠ شيكل يوميا ولا يدفع التزامات (بدل محل) ويقول انه احيانا يحصل على بضاعة بدون فواتير من تجار يهود متجولين (هنا لا بدّ من الاشارة ان البضائع على الارجح مسروقة مع انه نفى ذلك).

وحول علاقته مع اصحاب النوفوتيه اجاب " بانها عادية مع انهم كانوا يحاولون تحريض اصحاب المحلات حولي من اجل طردي واحيانا وهذا قبل الإنتفاضة كانوا يبعثون الضرائب والشرطة لطردنا من هناك انا وزملائي " واشار في اجابته انه يعمل في ذلك منذ قبل الانتفاضة (٤).

والحقيقة اننا اكتفينا بهذا القدر من المقابلات مع اصحاب البسطات ولكن مشاهدتنا تشير الى ازدياد واسع في هذه الظاهرة حيث اننا احصينا اكثر من ٩٠ بسطة وعربة خارج منطقة الحسبة وتخصص هذه البسطات في بيع الخضار ، الفواكة ، الملابس ، العاب الاطفال ، ساعات واجهزة الكترونية خفيفة ، امشاط وادوات مكياج ، شي اللحم او غيرها وتتركز في الشوارع الرئيسية المؤدية الى المنارة (شارع سينما الوليد ، شارع الإذاعة امام بناية البنك العثماني ، شارع امية ، شارع موقف القدس ، حول مواقف التكسيات ، هناك قسم مقابل ركب وفي مفارق الطرق.

اما أماكن السكن لأصحاب هذه البسطات : -

١ - بسطات الخضار والفواكه معظمهم من سكان مخيم قدوره وبلاطة.

٢ - البسطات الاخرى - من رام الله التحتا ، عين مصباح ، عين منجد ، وقسم من القرى المجاورة لرام الله، وحول الباعة المتجولين في المدينة وخاصة السجاد والملابس فمعظمهم ليسوا من سكان رام الله وانما من منطقة الخليل خاصة بني نعيم ، ولدى الاستفسار اتضح ان غالبية شبان بني نعيم يعملون كباعة متجولين في اسرائيل ومناطق الضفة والقطاع . على كل هذه الظاهرة انتشرت اكثر في ظل ظروف الانتفاضة ويعود السبب حسب اقوال الذين قابلناهم الى انهم فقدوا اعمالهم في الانتفاضة في اسرائيل ثم تدهور الحالة الإقتصادية وانتشار البطالة بشكل واسع ، والإجابة السائدة شعبيا كانت (أحسن من القعدة) . وهذه الاجابة على بساطتها تعكس بصورة اخرى موقف المجتمع من هذه الظاهرة واستيعابه لها بل وتشجيعه لها في كثير من الاحيان ، وهنا لا نتحدث عن المكانة الإجتماعية التي ينظر اليها المجتمع ، بقدر ما انها ظاهرة مقبولة ومستوعبة عند كثير من الناس وخاصة الأحياء السكنية التي تقطن بها هؤلاء . ولا شك ان حجم مبيعات هذه البسطات ايضا يعكس تقبل الناس لهذه الظاهرة فعند حصول صاحب البسطة على دخل يومي ما بين ٣٠ - ٤٠ شيكل كحد أدنى فهو دخل مرتفع نسبيا في ظل الظروف الاقتصادية السائدة في ظل

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيل لا يتعدى ٣٠ شيكل وفي المناطق المحتلة ١٥ - ٢٠ شيكل يوميا ، ويجب ملاحظة ان معظم هؤلاء الباعة لا يحملون مؤهلات جامعية او حرفية (باستثناء عدد محدود) حيث كانت مهنتهم قبل الانتفاضة اما دهان او طراشة او عمال عاديين بدون مهارة في اسرائيل ، وهناك قسم انهى التوجيهي مؤخرا ولا يجد ما يعمل.

حول علاقة اصحاب البسطات مع اصحاب المحلات والتجار فكما اشار احدهم انها كانت عدائية قبل الانتفاضة وتصل الى حد الخلافات والمشاجرات بالأيدي ، والى حد ادخال الشرطة في ابعادهم بحجم الوقوف في اماكن غير مخصصة لهم وغير شرعية الا انه في ظل الإنتفاضة انتهت الخلافات بحكم تخوّف التجار ، وعدم وجود من يحل الخلافات بين هؤلاء ، ولكن التناقض يبرز من خلال احاديث التجار واشاعاتهم ومع ان الكثير من اصحاب البسطات والباعة هم من العملاء وموجودين للمراقبة ومع ان هذا لا يخلو من الحقيقة كما تشير آراء عدد من المطلعين من الشبان في المدينة الا انه لا يمكننا تعميمها علما بأن اجهزة المخابرات تركز على العمل بين هؤلاء من اجل استقطابهم لحيوية مواقعهم في مراقبة كل تحرك في المدينة.

ومن الملاحظ ايضا ان كل صاحب بسطة يسعى او يحلم بأن يملك في المستقبل محلا تجاريا في الأصناف التي يبيعها ويطور ذلك فمثلا اصحاب بسطات الخضار والفواكه يحلمون بالحصول على محل مناسب في أحد الأحياء ، لبيع الخضرة امّا صاحب عربة شيّ اللحم والفلافل فيسعى الى ان يملك مطعما ، وعربة الملابس يسعى لأن يحصل على نوفوتيه بالمستقبل ، وهكذا وهذا طبعا يشير الى تفسير عدم الثبات وعدم الاستقرار في هذا العمل وانه غير مضمون للمستقبل . ما ذكرناه سابقا عن اصحاب العربات من البسطات لا يشمل اولئك الذين يعملون بشكل موسمي في هذا العمل والمتخصصين بأنواع محددة وهؤلاء معظمهم من طلاب المدارس في فترات العطل المدرسية او بعد انتهاء الدوام الرسمي وهم يختصون ببيع الذرة ، الحاملة (اي الحمص) ، اللوز ، الكرز ، الحلويات (كالشوكلاتة والبسكويت) وغيره.

الصرافين المتجولين

تعتبر هذه الظاهرة جديدة نوعيا وبرزت خلال الإنتفاضة واسبابها معروفة وهي نفس الأسباب التي ادت الى انتشار ظاهرة البسطات والعربات بشكل واسع وهي البطالة وتدهور الحالة الإقتصادية . حيث أجاب احد العاملين في هذا المجال عن عمله ، حيث قال (كنت اعمل في اسرائيل الاّ ان صاحب العمل قام بطردي بسبب التزامي بالاضرابات الشاملة ، وعندما وجدت نفسي بلا عمل ، حينها ذهبت لأقبض من البنك بقية حسابي البالغ ١٥٠٠ شيكل لقاء العمل في اسرائيل ، هناك طلب مني احد اصدقائي من القرية والذي يعمل صرافا متجولا ان ادينه المبلغ حتى آخر النهار مقابل ١٠ شيكل فوافقت ، وفي اليوم التالي نزلت معه المدينة حيث وقفنا بجانب بعضنا البعض وكان رأسمالنا آنذاك (٣٠٠٠ شيكل) نملكها مناصفة وبعد فترة استقرضنا من احد اقاربي مبلغا يعادل ٦٠٠ دينار وها أنا اعمل) واجاب عن ربحه اليومي قائلا بأنه غير ثابت ومتقلب فأحيانا ١٥ شيكل واحيانا ٣٠ الاّ ان المعظم يشير الى الحد الأدنى هو ١١ دينار اردني. ولكن الغريب في الموضوع ان هؤلاء لا يملكـــون الخبـــرة الكافية في السوق المالي وكيف يحددون السعر ، فلقد

Digitized by Birzeit University Library

أجاب احد الصرافين الثابتين الكبار في المدينة " يسألون عن الاسعار في الصباح وهكذا وبيعثون اصدقائهم كل ساعة الينا (اي ان الصرافين الثابتين في محلات) لمعرفة من الافضل في تجميد النقود (دينار ، دولار، شيكل) " (٥) ، وقال " مع التجربة اصبحوا يعرفون ماذا يدخرون وماذا يبدلون " وحول علاقتهم مع الصرافين الآخرين ، اجاب العطاري وهو صراف يملك محل صرافة في مدينة رام الله ، " ان العلاقة عادية وانهم يعتمدون على تبديل المبالغ الصغيرة بينما نحن فتبديل العملة ليس الشيء الاساسي عندنا ونحن نتعامل بكميات كبيرة بينما هم (اي الصرافين المتجولين) فرأسمال الفرد منهم لا يتعدى ١٠٠٠ دينار ، فتقلب الاسعار لا يضره ولا ينفعه كثيرا فإما ان يربح ١٠ دنانير او يخسر نفس المبلغ وليس مثلنا حيث تكون الخسارة او الربـــح عاليا ". وحول استفسارنا عـن مضاربتهم للصرافين الثابتين اجـاب نفس الصـــراف (العطاري) ، بأنهم " لا يستطيعون ذلك لأن المسألة تتعلق بحجم الرأسمال وبقوانين تحددها البنوك ، ولا دخل لهؤلاء في ذلك ، ولكن هم استحوذوا على قسم من مركز تبديل العملة وان لهم ضرر علينا في ذلك وعملهم اصلا ممنوع ، ولكن لا يوجد سلطة ولا رقيب" . ويذكر كما قال لنا ان ق . و . م . قد اصدرت في احدى نداءاتها دعوة الى وقف هذه الظاهرة الاّ انهم قاموا بتوقيع عريضة مناشدة تشروها بالصحف يشرحون بها اوضاعكم المأساوية وان عملهم هو طريق شريف لكسب قوتهم . ويذكر ان حدثت في رام الله مناوشات كثيرة بين شبان الانتفاضة والصرافين المتجولين كما ذكر احدهم على خلفية انخفاض سعر الدينار (٦) وقال انهم يفكرون اننا السبب في ذلك مع اننا لا نملك التقرير في ذلك. على كل يبلغ عدد الصرافين المتجولين في المدينة ما بين ٤٠ - ٥٠ صراف كما ذكر احدهم ، وكما ذكر عدد من الصرافين الثابتين ويتركز وجودهم في الدوار الرئيسي في المدينة. وحسب ما حصلنا على معلومات فان الرأسمال المتداول بين هؤلاء يتراوح ما بين ٤٠ -٦٠ الف دينار ، حيث ان متوسط رأسمال الصراف الواحد المتجول لا يتعدى ١٠٠٠ - ١٥٠٠ دينار كما ذكر العديد منهم اثناء مقابلتنا معهم.

كما ذكرنا فقد كانت هذه الظاهرة غير معروفة وكانت مستقرية في البداية كما يقول احدهم ولكن الناس اعتادوا عليها وبدأوا يتعاملوا معها حيث يقومون بعمليات التبديل من خلال الصرافين المتجولين ، والآن يبلغ عدد الصرافين في رام الله ما بين ٤٠ - ٥٠ صرافا متجولا ، وهذه الظاهرة قد خفت بسبب تدهور الأحوال الاقتصادية ، فالناس اصبحت لا تقوم بالتبديل الاّ للمعاملات الضرورية وكذلك ازمة الثقة بالدينار اثرت كثيرا على عملهم. وتجدر الاشارة الى ان قسم من هؤلاء له علاقة مع صرافين ثابتين اي ان رأسماله للتبديل مصدره احد الصرافين مقابل اجر يومي ، وهذه المعلومة ذكرها احد الصرافين المتجولين مع ان الصرافين الثابتين لديهم موقف بعدم التعامل مع هؤلاء ولكن على ما يبدو هناك علاقة غيرمعلنة بين قسم من هؤلاء مع عدد من محلات الصرافة.

السائقين بالاجرة ، السيارات الخاصة / العمومية

قد يبدو غريبا اعتبار ان عمل السائقين بالاجرة بأنه جزء من الاقتصاد الغير رسمي والصحيح هو ان قسم من عملهم غير رسمي ، وهذا قطاع كبير يشمل السائقين على تكسيات مرخصة ترخيص خاص تعمل كسيارة عمومية (دبل كابين ، بيجو) على خطوط القدس – القرى – التكسيات المحلية ، الباصات وغير ذلك ، ويبرز هنا السؤال حول مـا هو العمل غير الرسمي في هذا المجال . ان السيارة متحركة دائما وهي تنتقل

Digitized by Birzeit University Library

من مكان الى بسرعة ، واصحاب التكسيات لا يستطيعون ضبط هذه الحركة بشكل كبير ، سائق التكسي يحاسب الراكب من رام الله الى القدس على النقلة (٧ X ٥ر١ الاجرة الى القدس) والتكسي يسع ٧ ركاب فالنتيجة هي ٥ و١٠ شيكل ذهابا ومقابلها ايابا وهذا شيء رسمي ولا يمكن الطعن به ، ولكن هل حقيقة المشوار الى القدس يدخل فقط ٥ و١٠ شيكل . فالاجابة بالطبع لا ، لأن الركاب ينزلون على الطريق ، حيث ان ليس كل راكب يركب من رام الله يود الذهاب الى القدس ممكن ينزل على الطريق اي بيت حنينا مثلا ، البيرة ، شعفاط ، الرام ويصعد بدلا منهم وهكذا ، اي ان المشوار الى القدس يدخل اضعاف ٥ و١٠ ، فهذا الفرق يكون دخل غير رسمي لصالح السائق ، وهذه العملية موجودة من زمن بعيد ونفس الشيء لدى سائقي الباصات ، الا ان شركات الباصات بإستمرار تحاول ضبط هذه العملية من خلال التذاكر وتوظيف مراقب للتدقيق فيما اذا حصل الراكب على تذكرة ام لا ، ولكن هذا غيـــر معقول عند مسألة التكسيات ، وصاحـــب التكسي يعرف تماما هذه العملية وكذلك السائق ، لذلك يتم التوصل الى اتفاق بين الرسمي وغير الرسمي ، وهذا الاتفاق يكون في انخفاض الاجرة الشهرية للسائق ، حيث يجيب " صاحب مكتب تكسيات القدس " (٧) انه يدفع للسائق ٢٠٠ دينار شهري ، ولدى استفساري ان هذا قليل مقارنة مع الجهد ، اجاب باختصار اسألوه فهو لا يعتمد على ٢٠٠ دينار فهو يحصل دائما فيما يقارب ٤٠٠ دينار (برّاني) بحيث يتعدى دخله ٦٠٠ دينار ، وهو لا يدفع اي شيء مقابل التصليح او التأمين او الضريبة علما بأن السيارة تبقى معه ٢٤ ساعة ولا يدري صاحب التكسي بالضبط ماذا يعمل بها السائق ، فهو كل يوم الساعة السابعة مساء يسلمني المبلغ الذي عمل به ذلك اليوم ولا أدري ماذا يعمل لاحقا بالسيارة . وكذلك الأمر عند صاحب تكسيات امية حيث يدفع اجرة شهرية للسائق ١٨٠ دينار ويقول ان السائق يحصل شهريا على مبلغ ٣٠٠ دينار (برّاني) ، اما احد السائقين الذي يعمل بالاجرة فقال (اننا نعمل ١٢ ساعة متواصلة مقابل مبلغ ٢٠٠ دينار ، ونحن لدينا التزامات و عائلات ، اطفال ، مدارس ، وغير ذلك وهذا لا يكفي) وسألناه عن (البراني) فقال (شو البّراني اي هو هناك شغل ؟ فهناك ٢٠٠ سيارة تعمل على الخط غير الخصوصي والبيجو) ، على ما يبدو العلاقة ضمنية ما بين صاحب التكسي وسائقها ومفهومة ان كانت غير محددة بقانون فهي واضحة للطرفين ، ويمكن القول ان هناك اكثر من شكل موجود لتنظيم هذه العلاقة حيث يلجأ اصحاب التكسيات الى التعاقد مع السائقين بالاشكال التالية وكلها محاولات للحد من الدخل الغير رسمي:

١ - اجرة شهرية ضئيلة ١٥٠ - ٢٠٠ دينار.

٢ - تضمين السيارة للسائق مقابل اجر شهري يدفعه السائق ٤٠٠ - ٥٠٠ دينار ، والسائق يتكفل بكل شيء وهذا الشكل ينتشر لدى اصحاب السيارات الذين يعملون في مجالات اخرى (صاحب متجر ، موظف ، مختار ، مقاول).

٣ - ان يعمل السائق مقابل نسبة او كما يقال بلغة السوق (شريك مضارب على الثلث او النصف)اما عن حجم السائقين فهو عدد كبير ولقد استطعت الحصول على المعلومات التالية :-

	عدد السيارات	عدد السائقين
شركة القدس (الحتو)	١٥٨	٩٥
شركة امية	٨	٤ (٨) ×
شركة العلمين	٧	٣ (٩) ×

× (الفرق هنا ان اصحاب السيارات يعملون على سياراتهم)

Digitized by Birzeit University Library

مما سبق نلاحظ ان النسبة تفوق ٧٠ ٪ وهذا ما ينطبق على تكسيات بيرزيت القرى المجاورة ، وسيارات (الفولكسفاجن كبين).

وكل ذلك لا يشمل سيارات المرسيدس الخصوصي وهي غير رسمية لأنها غير مسجّلة بالضرائب وغير مرخّصة للعمل كسيارات اجرة وهي موجودة بكثرة لا يمكن حصرها ، ويمكن القول ان مئات العائلات يتحدد مستوى المعيشة لديها على هذه الاشكال في الدخل ، ويذكر انه في غياب السلطة فإن هذه الظاهرة انتشرت بكثرة جراء الإنتفاضة ، ففي السابق كانت الشرطة تلاحق سيارات المرسيدس الخصوصي والبيجو وتحاول الحد منها الاّ انه ازدادت بشكل كبير وتخلق مزاحم واضحة ما بين تكسيات العمومي وبينها ويحكم المسألة الآن كما يقول احد السائقين (قانون الفتوة) ، اي محاولات منع ذلك بالقوة ، ولم تسطع بهذا الصدد تفصيل هذه الظاهرة جغرافيا اي تحديد عدد العاملين من سكان رام الله في هذا المجال لأن هذا بحاجة الى احصاء شامل لم نقن به ، ولكن يمكن القول ان المركز الرئيسي في المدينة وبالذات مواقف التكسيات هو التعبير الصارخ عن هذه الظواهر.

السرقات والنصب والاحتيال

في محاولة لمعرفة حجم هذه الظاهرة قمنا بمقابلة المدعي العام في مدينة رام الله (١٠) ، الذي اكد انه في فترة ما قبل الانتفاضة كانت الشرطة تنجح في الكثير من الحالات في الوصول الى المسروقات والسارقين خاصة من ابناء المدينة ، وكانت الإجراءات فعّالة باستثناء تلك السرقات التي كانت تقوم بها عصابات يهودية مسلحة ومنظمة . وفي بداية الإنتفاضة لوحظ انخفاض حاد في حجم السرقات وفي عدد الفاعلين الاّ انها ارتفعت النسبة عام ١٩٨٩ حيث حصل في المدينة ٢٠٠ حادثة سرقة وتقدّر المسروقات ما بين ٣٠٠ – ٥٠٠ الف دولار. وتركزت السرقات في المحال التجارية ، في الشوارع الرئيسية والتي من المفترض ان تكون تحت حماية الجيش مما يدل على ان الفاعلين لهم علاقة بالسلطة واضاف انهم معروفين لدينا ولكن هناك غياب للسلطة التنفيذية ولدينا قائمة بأسمائهم تشمل ٥٥ شخصا يوجد ٢٣ شخصا من المدينة ، ومعظمهم من الشباب تتراوح اعمارهم ١٨ – ٢٧ عاما وجميعهم لهم ارتباط بالسلطة والمخابرات وليس لهم عمل رسمي سوى السرقة وقسم منهم كان يعمل في الحسبة والبسطات وتتركز اماكن سكناهم في مخيم الامعري ، رام الله التحتا (الكراج) ، عين مصباح ، ويشير ايضا ان هناك سرقات تحدث لا يتم التبليغ عنها بسبب انعدام الثقة في الشرطة ولأنها لا تستطيع فعل أي شيء ويحاول الناس حل هذه القضايا بواسطة شباب الانتفاضة الذين يقومون بملاحقة هؤلاء . وحول المسروقات اجاب ان معظمها اجهزة كهربائية ، ومصاغات ذهبية والأجهزة تباع في اماكن أخرى من الضفة عبر رام الله ، بينما الذهب يتم تسويق في اسرائيل ، لأن اصحاب المحلات هنا يخافون شراء اي ذهب دون فاتورة رسمية ، وحول حجم المسروقات من مناطق اخرى والتي تباع هنا ، اجاب ان معظم اصحاب بسطات البضائع فان بضائعهم مسروقة ويحصلون عليها من اسرائيل (طبعا في ذلك اصحاب البسطات) لذلك يبيعونها بأسعار منافسة ، ولا شك ان تعامل الناس مع الظاهرة هو مقاوم وعنيف وتعتبر جريمة من كافة النواحي في ذلك.

Digitized by Birzeit University Library

اما عن النصب والاحتيال ، فأجاب عن ظاهرة الدنانير الأردنية المزوّرة " ان مصدرها من اسرائيل واستطعنا ان نضبط ٤٠٠ دينار في السوق ولا استطيع تقدير حجم المبلغ الذي نقد بالضبط الأ انه يتعدى الألف " ، ولا يعتقد ان احدا في المدينة له علاقة بذلك : بينما اشار الى انخفاض ظاهرة الشيكات المزوّرة في التعامل التجاري ويعود السبب الى اجراءات البنوك اولا والى ميل الناس للتعامل النقدي المباشر بعد ازمة الدينار. بينما شهدت الإنتفاضة ظاهرة الاحتيال بواسطة جمع التبرعات لصالح الانتفاضة او الجرحى وغير ذلك ، وهذا برأينا ظاهرة مهمة نشأت في ظل الإنتفاضة وحجمها واسع ولكن لا يمكن التحقق من هوية اصحابها ويوجد صعوبة في تحديدهم او اجراءات مقابلات معهم ، فلا يعقل ان يعترف القائمين بهذه العمليات بذلك ، ولكن يمكن القول ان جمع في منطقة عين مصباح وحدها في شهر كانون الثاني ١٩٩٠ حسب ما ذكر لنا احد الشبان اكثر من ١٢ الف شيكل بحجة دعم الإنتفاضة واشكال هذه العملية متنوعة فتارة يوصل موقع باسم ق . و . م . وتارة بأوراق مثبتة بلجنة شعبية وهكذا .

التهرب من الضرائب

من المعروف ان هذه الظاهرة منتشرة في كافة انحاء العالم وعندنا ايضا منتشرة مسألة التهرب من الضرائب وهذا يعتبر غير رسمي ، ولكن هناك صعوبة كاملة في حصر هذه الظاهرة ومعرفتها ، خاصة ان القائمين عليها لا يمكن ان يتعاونوا في الحصول على المعلومات . وتكمن الصعوبة ايضا في ان الحصول على معلومات من دائرة الضريبة هو صعب في الظروف الحالية. ونعتقد ان حجم هذه الظاهرة كبير جدا خاصة في ظل الإنتفاضة لوجود عامل وطني اضافي يشجع الناس على التهرب من الضرائب . وتحاول دائرة الضريبة بإستمرار القضاء على الظاهرة سواء بإستخدام الأساليب العسكرية او الاوامر الادارية او المصادرة وغير ذلك. من الوسائل يدخل ذلك من ضمن الصراع الدائر بين الشعب الفلسطيني والاحتلال الاسرائيلي ولكن الوسيلة التي تعنينا الإشارة اليها كطريقة لإحتواء الغير رسمي في العمل وتضمينه بالضريبة ، على كل نحن اردنا ان نشير اشارة الى هذا الشكل في الاقتصاد الغير رسمي مع علمنا ان الظروف المحيطة والعوامل المساعدة في هذا الشكل كثيرة ولا يمكن حصرها بأسباب اقتصادية اجتماعية فقط.

ممكن اعتبار جزء من اعمال الكازيات هو نوع من الاقتصاد غير الرسمي في الموضوع ، اذ ان هناك تلاعب في العداد من قبل الشخص الذي يقوم بتعبئة البنزين للسيارات ، فمثلا يأخذ من الفرد ١٠ شيكل ، ويعبىء له ب ٥ شيكل فقط مثلا (يتلاعب بالعداد) والباقي يأخذه لحسابه الخاص. وهذا هو غير الرسمي في الموضوع . كما ان هناك كازيات ترفع اسعار البنزين في آخر النهار فيكون في الصباح محددا بسعر وفي المساء سعر آخر ، وهذا ما نجده ما لاحظناه في كازية القواسمي في منطقة المطار.

الخلاصة

ان ما ذكرته سابقا هو عرض سريع لعدد من اشكال الإقتصاد غير الرسمي المنتشرة بكثرة في مدينة رام الله وتستطيع ان تجزم في مختلف مدن الضفة والقطاع. وقد ازدادت هذه الظواهر بشكل كبير في ظل الإنتفاضة بسبب تدهور الأحوال الإجتماعية والإقتصادية في المناطق المحتلة ، ففي العام الثاني للإنتفاضة

Digitized by Birzeit University Library

انخفض الدخل القومي لسكان الضفة والقطاع بنسبة ٤٠ ٪ مع ان عدد من الخبراء يشير الى ان النسبة اكبر من ذلك كثيرا وتتعدى ٦٠ ٪ وهذا الانخفاض بهذا الحجم يشير انه كارثة اقتصادية تهدد السكان وحياتهم ومجتمعهم ، ولا شك ان ذلك سينعكس على مستوى التشغيل والبطالة والأجور وما الى ذلك ، ولكن هذا يخلق مناخا جيدا للتفتيش عن بدائل حتى ولو كانت غير رسمية من اجل الحفاظ على مستوى المعيشة السابق.

ويمكن الاشارة لو ان الانتفاضة والعوامل الوطنية غير موجودة فإن الأوضاع الإقتصادية قد تخلق في هذه الحالة ارتفاع حاد بنسبة الجرائم والإجرام والسرقات والنصب وما الى ذلك. ولكن نتيجة وجود الانتفاضة تشكل عامل كبح لهذه الظواهر وتوفر في الوقت نفسه مجالات اخرى لممارسة الإقتصاد الغير رسمي. انني في هذا البحث المتواضع حاولت الاشارة الى بعض هذه الظواهر واثقة انها بحاجة الى بحث اوسع واشمل يمكن ان يعطي هذا الموضوع حقه في الدراسة .

المراجع

(أ) ابو ريا ، خليل – رام الله قديما وحديثا – اتحاد رام الله الامريكي ١٩٨٠.
(ب) الدباغ ، مصطفى مراد – بلادنا فلسطين – الجزء الثامن
دار الشرق للنشر والتوزيع – كفرقرع – الطبعة الثانية ١٩٨٨.
(ج) قدورة ، يوسف – تاريخ مدينة رام الله مطبعة الهدى نيويورك ١٩٥٤

المقابلات

(١) مقابلة مع ر. م . – تاجر خضرة الجملة الحسبة (حسبة البيرة) (آذار ١٩٩٠)
(٢) مقابلة مع أ . ر – صاحب بسطة خضار الحسبة (آذار ١٩٩٠)
(٣) مقابلة مع ج . ت – صاحب بسطة خضار حسبة البيرة (آذار ١٩٩٠)
(٤) مقابلة مع ع.ج – تاجر ملابس (اطفال ميدان المقربين (آذار ١٩٩٠) صاحب بسطة.
(٥) مقابلة مع الصراف العطاري – سائد مقبل مركز الشرطة (آذار ١٩٩٠)
(٦) مقابلة مع الصراف المتجول – نائل قحاز – ميدان المقربين (آذار ١٩٩٠)
(٧) مقابلة مع صاحب تكسيات السلام – جهاد الحتو – المنارة (آذار ١٩٩٠)
(٨) مقابلة مع صاحب تكسيات امية – معوض امية – مقابل محلات زبانة (آذار ١٩٩٠)
(٩) مقابلة مع صاحب تكسيات العلمين – محمود الحاج ياسين – مقابل حسبة البيرة (آذار ١٩٩٠)
(١٠) مقابلة مع المدعي العام ط. ط. لم يرد الإدلاء باسمه ، مركز شرطة رام الله (آذار ١٩٩٠)

طباعة ومونتاج : سوزان الزبيق

Digitized by Birzeit University Library

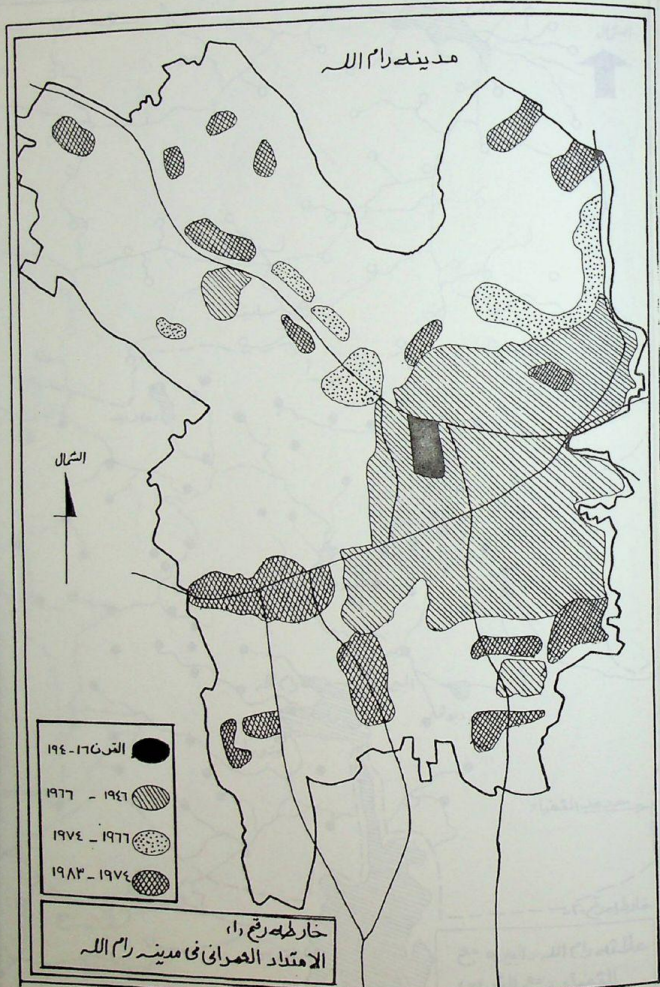

خارطة رقم (١)
الامتداد العمراني في مدينة رام الله

المصدر : أطلس الضفة والقطاع
اعداد: بتنسق و تتلومو خياط ١٩٨٧

Digitized by Birzeit University Library

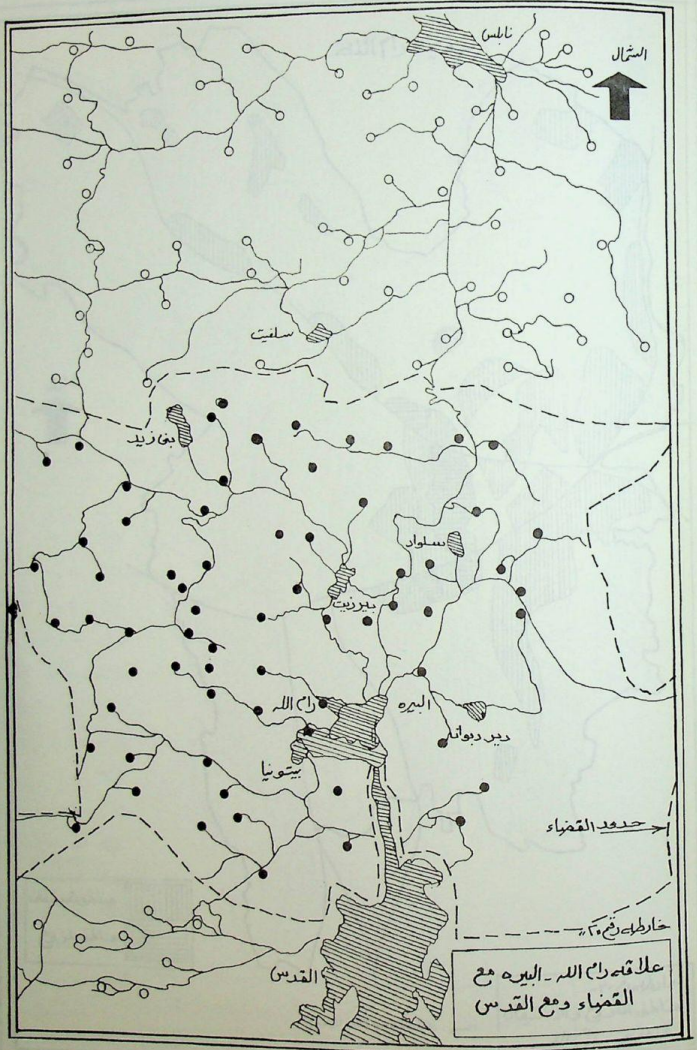

المصدر: خيالة، ١٩٨٣

Digitized by Birzeit University Library

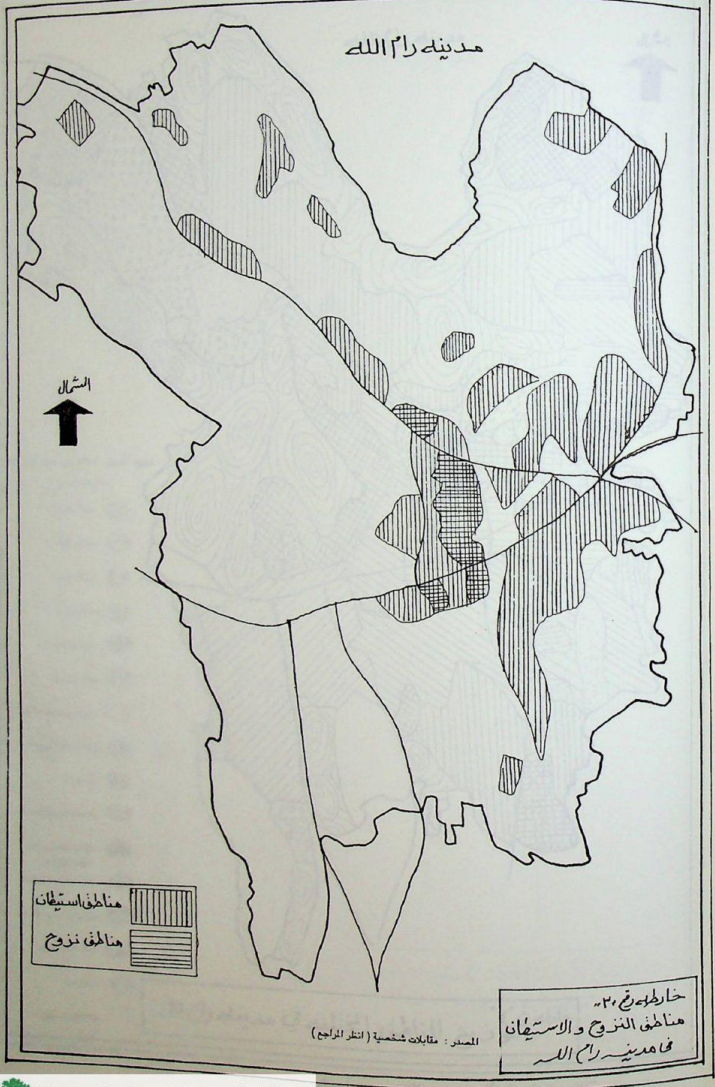

خارطة رقم ٣٠
مناطق النزوح والاستيطان
في مدينة رام الله

المصدر: مقابلات شخصية (انظر المراجع)

Digitized by Birzeit University Library

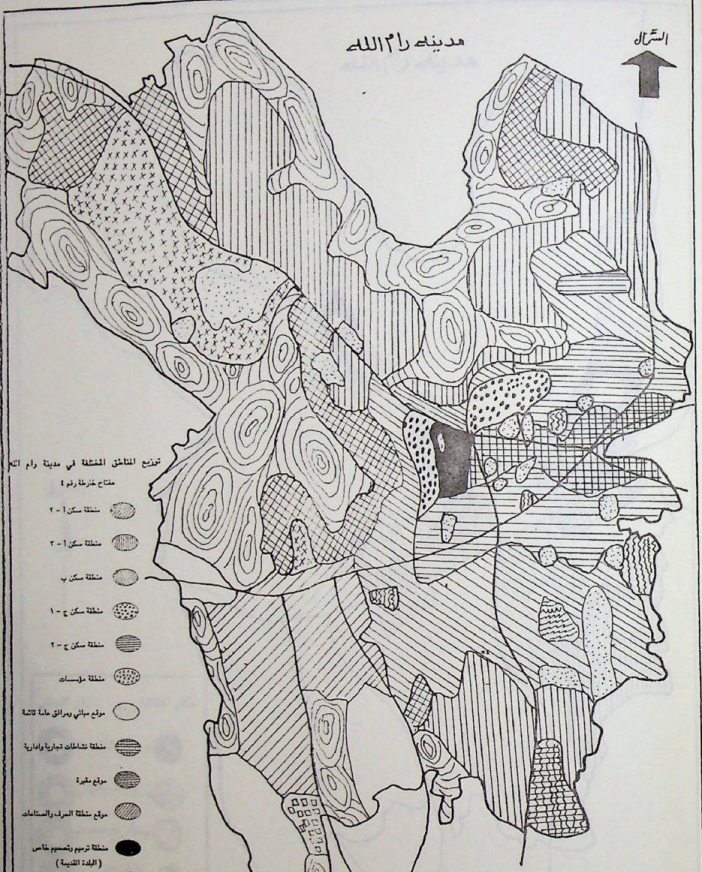

خارطة رقم ٤
توزيع المناطق المختلفة في مدينة رام الله

المصدر : كتاب البناء الهيكلي لمدينة رام الله - اعداد : شركة [illegible] ١٩٨٣

Digitized by Birzeit University Library

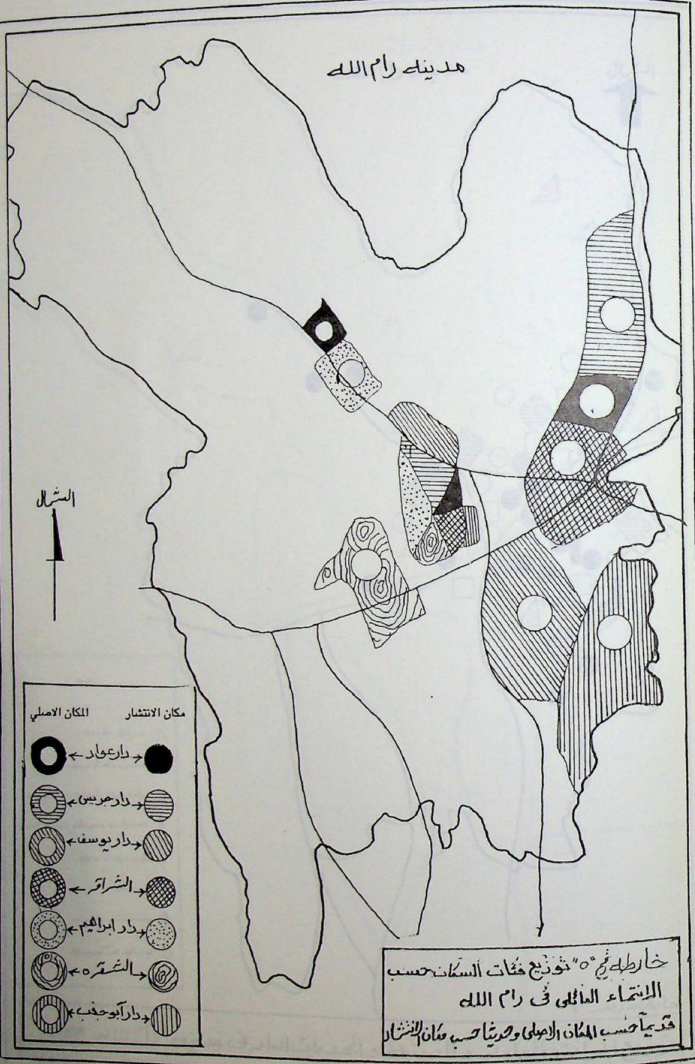

خارطة رقم "٥" توزيع فئات السكان حسب الانتماء العائلي في رام الله
قديماً حسب المكان الاصلي وحديثاً حسب مكان الانتشار

المصدر: مقابلات شخصية (راجع المراجع)

Digitized by Birzeit University Library

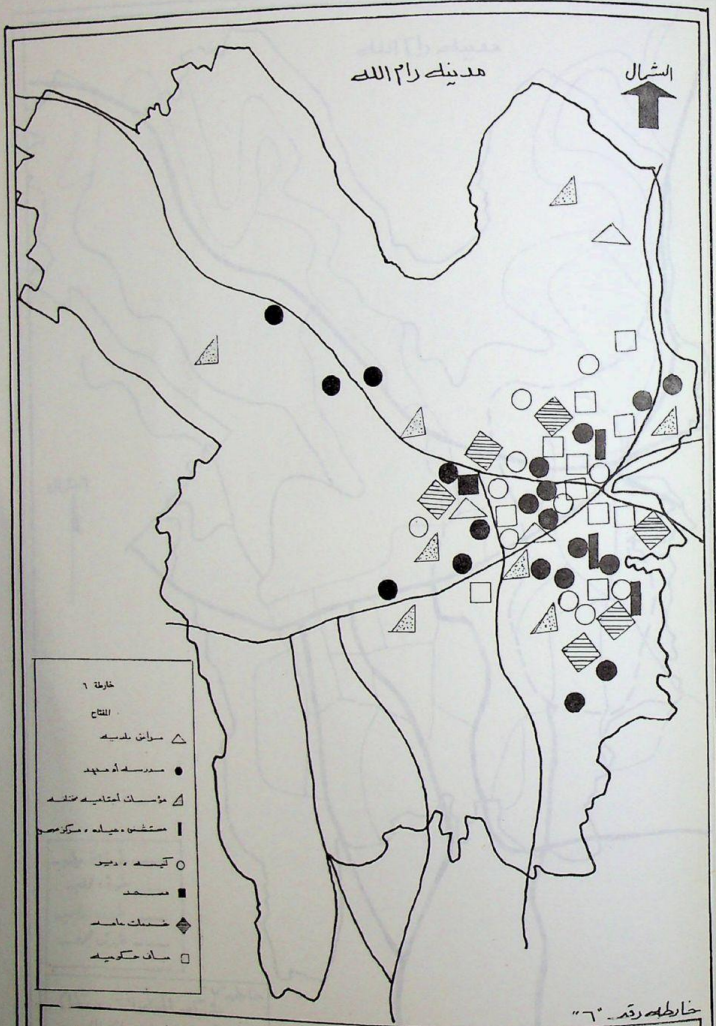

خارطة رقم "٦"

توزيع المرافق العامة والدينية والخدمات العامة في مدينة رام الله ١٩٨٣

Digitized by Birzeit University Library

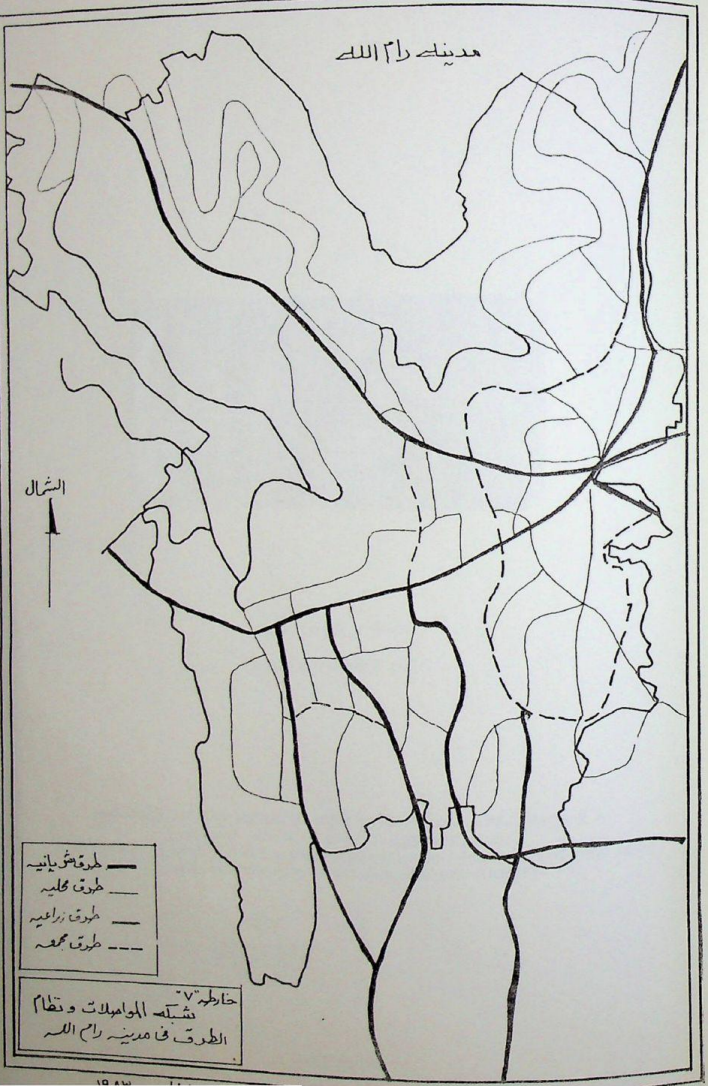

خارطة "٧"
شبكة المواصلات و نظام الطرق في مدينة رام الله

المصدر: كتاب المناخ الفندقي لمدينة رام الله - ا

The Transformation of an Urban Community Studies in the Social Morphology , Ruralization and the Informal Sector in the City of Ramallah

Nael Younis, Nadim Hammoudeh,
Nadia al-Ansari, Salim Tamari

Department of Sociology
Birzeit University
(Arabic Text)

Working Papers No. 4

Afaq Filistinyya Series

A Series Of Occaisional Research Papers Published by **Afaq Filistiniyya**
Birzeit University, P.O.Box 14, Birzeit, West Bank.
In the Arab World : Birzeit University Liaison Office, P.O.Box 950666, Amman, Jordan
(Partial funding for this series comes from Friedrich Ebert stiftung)

March 1991

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية

Digitized by Birzeit University Library

WORKING PAPERS

The Transformation of an Urban Community Studies in the Social Morphology , Ruralization and the Informal Sector in the City of Ramallah

Nael Younis, Nadim Hammoudeh,
Nadia al-Ansari, Salim Tamari

Department of Sociology
Birzeit University
(Arabic Text)

aisional Research Papers Published by Afaq Filistiniyya
University , P.O. Box 14, Birzeit , West Bank.

Digitized by Birzeit University Library